رسالة في

أسس العقيدة

تأليف

د. محمد بن عودة السعودي

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة في العقيدة الإسلامية

الحمد لله العليم الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلم الخير للبشر، الشافع المشفع في المحشر، وعلى آله وصحابته الغُرر، **أما بعد:**

فإن المؤمن مأمور بأن يتزود من العلم الشرعي المستند إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما فيه إقامة دينه، وحياة قلبه، وسعادته في الدارين، ويكفي في فضل طلب العلم قول النبي ﷺ ﴿ من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ﴾ [(١)] .

وطالب العلم يدرك أهمية الازدياد من العلم؛ فهو يعرف أن العلم بحر لا ساحل له، كما يدرك أنه كلما ازداد علما ازداد هدى وبصيرة وخشية لله تعالى كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ ﴾ [(٢)] ، وهو يدرك أيضا أنه مأمور بطلب الازدياد من العلم كما قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [(٣)] .

من هنا.. وانطلاقا من واجب وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في تيسير أسباب العلم الشرعي، ورفع مستويات التأهيل العلمي لمنسوبيها من الدعاة والأئمة والخطباء؛ فقد نظمت الوزارة دورات تدريبية شرعية لمن يحتاجها منهم، وذلك ضمن برنامج العناية بالمساجد ومنسوبيها.

وهذا الكتاب هو في أصله ثمرة جهد مبارك قام به مشايخ فضلاء من أساتذة الجامعات كانت الوزارة قد عهدت إليهم بإعداد مناهج في مواد العلم الشرعي لمعهد الأئمة والخطباء، والوزارة الآن تعيد طباعته ليكون ضمن مقررات دورات برنامج العناية بالمساجد ومنسوبيها.

---

(١) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩) ، الترمذي القراءات (٢٩٤٥) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢٥) ، أحمد (٢/٣٢٥) ، الدارمي المقدمة (٣٤٤).
(٢) سورة فاطر آية: ٢٨.
(٣) سورة طه آية: ١١٤.

وفق الله الجميع لطاعته وزادهم علما وعملا وهدى وتقى، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكالة المطبوعات والبحث العلمي

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: فهذا كتاب مختصر في " أسس العقيدة الإسلامية " اشتمل على ما يلي:

أولا: مقدمة تناولت تعريفا بمصطلح " العقيدة " وما في معناه، وأصول العقيدة الإسلامية، وم لة هذا العلم، ومصدر تلقيه، ومنهج أهل الحق في تقريره والاستدلال عليه، وما يجب على المكلف منه.

ثانيا: شرح أصول الإيمان الستة.

ثالثا: بيان مسائل الإيمان، وهي: مسمى " الإيمان "، وزيادته ونقصانه، وحكم مرتكب الكبيرة.

رابعا: حقوق أهل بيت رسول الله ﷺ - وصحابته - رضي الله عنهم أجمعين -.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به وأن يجعله خالصا لوجهه وأن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

د. محمد بن عودة السعودي

تعريف العقيدة

تدل مادة " عقد " في اللغة على التصميم والعزم والصلابة، يقال: عقدت الحبل والبيع والعهد فانعقد، واعتقد الشيء أي اشتد وصلب، واعتقد كذا بقلبه، والمعاقدة: المعاهدة.

واصطلح على إطلاق " العقيدة " على ما يعمله الشخص ويعتقده بقلبه من أمور الدين.

ويطلق على هذا العلم أيضا " أصول الدين " لأن غيره ينبني عليه و" التوحيد " لأن أعظم مسائله مسألة توحيد الله ﷻ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته، و" الإيمان " حيث أجاب الرسول ﷺ جبريل - عليه السلام - لما سأله عن الإيمان بذكر الأصول الستة، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

أصول العقيدة الإسلامية

أساس العقيدة الإسلامية هو أصول الإيمان الستة التي ذكرها الله سبحانه وذكرها رسول الله ﷺ في غير موضع.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [1] (البقرة الآية: ١٧٧).

وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [2] (البقرة الآية: ٢٨٥)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [3] (النسـاء الآية: ١٣٦)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [4] (القمر الآية: ٤٩).

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب وأبو هريرة -رضي الله

---

(١) سورة البقرة آية: ١٧٧.
(٢) سورة البقرة آية: ٢٨٥.
(٣) سورة النساء آية: ١٣٦.
(٤) سورة القمر آية: ٤٩.

عنهما- وأخرجه البخاري ومسلم وغيرهما حين سأله جبريل عليه السلام، عن الإيمان فقال: ﴿ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [1] .

ولهذه الأصول تفصيلات وتفريعات.

م لة علم العقيدة الإسلامية

هذا العلم هو أشرف العلوم وأعظمها وأعلاها، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وم لة العلم تقدّر بحاجة الناس إليه، وبما يحصل لصاحبه من الانتفاع به في الدنيا والآخرة.

وحاجة العباد إلى علم العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له وما ي ه عنه، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه.

وكلما كانت معرفة العبد بربه صحيحة تامة كان أكثر تعظيما واتباعا لشرع الله وأحكامه، وأكثر تقديرا للدار الآخرة.

وإذا انطبعت في نفس العبد هذه المعاني الشريفة من العلم بالله وتوحيده ومحبته وخشيته وتعظيم أمره ونهيه، والتصديق بوعده ووعيده، سعد في الدنيا والآخرة، وسعد مجتمعه به، ذلك أن صلاح سلوك الفرد تابع لصلاح عقيدته وسلامة أفكاره، وفساد سلوك الفرد تابع لفساد عقيدته وانحرافها.

قال تعالى في خبر إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١ ﴾ [2] (الأنعام الآية: ٨١) ثم قال تعالى فاصلا بين الفريقين مبينا الآمن

---

(١) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٢٧/١).

(٢) سورة الأنعام آية: ٨١.

منهما: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [1] (الأنعام الآية: ٨٢).

وقد ثبت في الصحيحين « عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن الرسول ﷺ فسر الظلم هنا بالشرك » ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ [2] (لقمان الآية: ١٣)، ومعنى الآية أن الذين أخلصوا العبادة لله وحدهم هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة.

والشرك لا يغفره الله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [3] (النساء الآية: ٤٨)، والشرك محبط للعمل كما قال تعالى: ﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [4] (الزمر الآية: ٦٥)، وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [5] (الأنعام الآية: ٨٨)، وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٍ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [6] (الفرقان الآية: ٢٣).

والتوحيد عاصم للدين والدم والمال، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » [7] .

---

(١) سورة الأنعام آية: ٨٢.
(٢) سورة لقمان آية: ١٣.
(٣) سورة النساء آية: ٤٨.
(٤) سورة الزمر آية: ٦٥.
(٥) سورة الأنعام آية: ٨٨.
(٦) سورة الفرقان آية: ٢٣.
(٧) البخاري الجهاد والسير (٢٧٨٦) ، مسلم الإيمان (٢١) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٦) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٧١) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٠) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٢٨) ، أحمد (١/١١).

وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ﴾ [1] .

ولهذا يجب على كل مسلم أن يعتني بالعقيدة تعلما وتعليما وفهما وتدبرا واعتقادا، ليبني دينه على أساس صحيح سليم، يحصل به سعادة دنياه وآخرته.

مصدر تلقي العقيدة الإسلامية

مصدر تلقي العقيدة هو كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ يجب التمسك والاعتصام بما، وقد تكفل الله لمن اتبعهما بأن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، قال تعالى:

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [2] (طه الآيات: ١٢٣ - ١٢٦).

وامتن سبحانه على هذه الأمة بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [3] (الجمعة الآية: ٢).

وأقسم سبحانه أنه لا يحصل الإيمان لأحد حتى يحكم الرسول ﷺ ويسلم لحكمه، فقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٥٢) ، مسلم الإيمان (٢٨) ، أحمد (٣١٤/٥).
(٢) سورة طه آية: ١٢٣ - ١٢٦.
(٣) سورة الجمعة آية: ٢.

أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [1] (النساء الآية: ٦٥).

ومنهج أهل الحق -وهم أهل السنة والجماعة- الاعتماد على الكتاب، والسنة، وتعظيم نصوصهما، فيعتصمون بها، ولا يعرضونها لتحريف أو تأويل يخرجها عن مراد الله أو مراد رسوله، كما يفعل أهل البدع والأهواء، ويقفون فلا يخوضون في آيات الله، وأحاديث رسوله بغير علم، بل يتدبرون كتاب الله وسنة رسوله كما أمرهم سبحانه بقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ ﴾ [2] (النساء الآية: ٨٢)، وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [3] (المؤمنون الآية: ٦٨)، وقوله: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ [4] (ص الآية: ٢٩)، وقوله: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ ﴾ [5] (يوسف الآية: ١)، وقوله: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [6] (آل عمران الآية: ١٣٨) وقوله: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ [7] المائدة الآية: ٩٢)، وقوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [8] (النحل الآية: ٤٤).

ويستعينون في فهم مدلول نصوصهما بآثار صحابة رسول الله ﷺ وهم أهل السبق والفضل، وأقوال التابعين لهم بإحسان، وما عرف من لغة العرب، ويكلون ما لم يعلموه إلى عالمه سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة النساء آية: ٦٥.
(٢) سورة النساء آية: ٨٢.
(٣) سورة المؤمنون آية: ٦٨.
(٤) سورة ص آية: ٢٩.
(٥) سورة يوسف آية: ١.
(٦) سورة آل عمران آية: ١٣٨.
(٧) سورة المائدة آية: ٩٢.
(٨) سورة النحل آية: ٤٤.

وهم في هذا الصدد لا يعارضون الكتاب والسنة بعقولهم وآرائهم، بل يقررون أن النقل والعقل لا يتعارضان، إذا كان النقل صحيحا، والعقل صريحا [1] .

بل إن النقل تضمن أدلة عقلية على المطالب الدينية، ففي الاستدلال على وجود الله، قال سبحانه: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [2] (الطور الآية: ٣٥) وفي الاستدلال على الوحدانية قال: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ [3] (المؤمنون الآية: ٩١) وفي الاستدلال على العلم قال: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [4] (الملك الآية: ١٤).

والعقل يمكن أن يدرك جملا من مقررات علم العقيدة، مثل أن الله موجود، وواحد، وحي، وعال على مخلوقاته، عليم بم، قادر، حكيم مستحق للعبادة وحده دون سواه، ونحو ذلك، لكن لا يمكن أن يستقل بمعرفة وإدراك تفاصيل هذا العلم، إذ لا تدرك التفاصيل إلا من الكتاب والسنة.

ولأننا اشترطنا لانتفاء التعارض بين النقل والعقل أن يكون العقل صريحا لم يطرأ عليه انحراف أو تغيير - نقول: إذا وجد ما يوهم التعارض بين النقل الثابت والعقل وجب تقديم النقل لسببين:

الأول: أن النقل ثابت، والعقل متغير.

الثاني: أن النقل معصوم، والعقل ليس كذلك.

---

(١) المراد بالنقل الصحيح: القرآن الكريم والسنة الثابتة عن رسول الله والعقل الصريح: السليم من الانحراف والشبه. وقد دلت النصوص الشرعية على أن القلوب مفطورة على معرفة الحق وقبوله ، وقد بعث الله الرسل - عليهم السلام - بتقرير الفطرة وتكميلها ، ولكن الفطرة قد تنحرف انظر ص ١٣ - ١٥.

(٢) سورة الطور آية: ٣٥.

(٣) سورة المؤمنون آية: ٩١.

(٤) سورة الملك آية: ١٤.

الاعتقاد والعلم والواجب على المكلف

يجب على كل واحد من المكلفين أن يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ إيمانا عاما مجملا، فيقر بجميع ما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وما أمر به الرسول ونهى عنه، فلا بد من تصديقه عليه الصلاة والسلام فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر به أو نهى عنه، وهذا الإيمان المجمل.

وأما التفصيل فعلى كل مكلف أن يقر بما ثبت عنده من خبر الرسول ﷺ أو أمره ونهيه.

وما جاء به الرسول ﷺ ولم يبلغه، ولم يمكنه العلم به، فهو لا يعاقب على ترك الإقرار به مفصلا، وهو داخل في إقراره بالمجمل العام.

ومعرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض كفاية على مجموع الأمة، إذا قامت به طائفة سقط عن الباقين.

والذي يجب على أعيان الأمة من هذا العلم التفصيلي ليس شيئا واحدا، بل يتنوع تبعا لأمرين: القدرة والحاجة.

فمن ناحية القدرة يجب على القادر على سماع العلم وفهم دقيقه ما لا يجب على العاجز عن ذلك، ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والحاكم والعالم ما لا يجب على آحاد العامة.

ومن ناحية الحاجة يجب على المكلف أن يعلم ما يتعين عليه الإيمان به واعتقاده وما يتعين عليه امتثاله أو اجتنابه، فمن عنده مال تجب فيه الزكاة يجب عليه معرفة تفاصيل زكاة ماله، ولا تجب معرفة هذا على من ليس عنده مال، والمستطيع للحج تجب عليه معرفة صفته، وهكذا.

وأما القدر الزائد على ما يحتاج إليه المعين فهو داخل في فرض الكفاية.

أصول الإيمان

الأصل الأول الإيمان بالله

وجود الله تعالى

وهو العلم والتصديق والإقرار والاعتقاد الجازم بأن الله موجود، وأنه واحد في أفعاله، واحد في عبادته، واحد في أسمائه وصفاته.

فهذه أربعة أمور:

الأول: وجود الله تعالى:

إن الإقرار بوجود الخالق سبحانه وتعالى أمر فطري، جبلت القلوب وفطرت على الإقرار به، وهو أمر ضروري من المعلومات الظاهرة المشتركة بين الناس، والحاصلة لكل أحد بدون كسب أو نظر أو تفكير، أو هو حاصل بأدنى نظر.

وغالب الأمم اعترفوا بوجود الخالق وأن الخالق واحد، كما قال سبحانه: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [1] (إبراهيم الآية: ١٠)، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [2] (الزخرف: ٨٧) وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [3] (الزخرف الآية: ٩).

والله سبحانه فطر عباده على معرفته وتوحيده وتعظيمه ومحبته، وهذه هي الحنيفية التي خلق عباده عليها، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ

(١) سورة إبراهيم آية: ١٠.
(٢) سورة الزخرف آية: ٨٧.
(٣) سورة الزخرف آية: ٩.

فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1] (الروم الآية: ٣٠ - ٣٢).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بيمة جمعا، هل تحسون فيها من جدعاء ؟.. ﴾ [2] الحديث.

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: ﴿ ... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنم أتتهم الشياطين فاجتالتهم [3] عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ﴾ .

فالفطرة الإنسانية تشهد بوجود خالق قادر عليم حكيم مستحق للعبادة، ولكن هذه الفطرة قد تنحرف، كما دلت النصوص السابقة.

ويوجد في الناس من ينازع في كثير من القضايا الضرورية البديهية والمعارف الفطرية، وبنو آدم لا ينضبط ما يخطر لهم من الآراء والإرادات، فإنم جنس عظيم التفاوت، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [4] (الأعراف الآية: ١٧٩)، وقال تعالى ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ

(١) سورة الروم آية: ٣٠ - ٣٢.

(٢) البخاري الجنائز (١٢٩٢) ، مسلم القدر (٢٦٥٨) ، الترمذي القدر (٢١٣٨) ، أبو داود السنة (٤٧١٤) ، أحمد (٢٧٥/٢) ، مالك الجنائز (٥٦٩).

(٣) أي استخفوهم فأزالوهم عما كانوا عليه إلى الباطل.

(٤) سورة الأعراف آية: ١٧٩.

﴿يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[1] (الفرقان الآية: ٤٤).

ولهذا وجد من أنكر الخالق قديما وحديثا، إما في الظاهر دون الباطن كحال فرعون ونحوه، وإما ظاهرا وباطنا.

قال الله سبحانه وتعالى مخبرا عن فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[2] (الشعراء الآية: ٢٣) وهذا استفهام إنكار وجحد[3] ولذا قال له موسى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[4] (الشعراء الآية: ٢٤ - ٢٨).

وأخبر سبحانه أن موسى قال له أيضا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾[5] (الإسراء الآية: ١٠٢) وقـال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾[6] (النمل الآية: ١٤).

الأدلة على وجود الخالق:

كما أن الإقرار بالخالق -جل وعز- والاعتراف بوجوده مركوز في الفطر، مستقر في القلوب فبراهينه وأدلته متعددة، وأساس هذه الأدلة أن المخلوقات تدل على الخالق، سواء نظر إلى المخلوقات بعامة أو إلى أجزائها، فنحن نشاهد الحوادث من الإنسان والحيوان

---

(١) سورة الفرقان آية: ٤٤.
(٢) سورة الشعراء آية: ٢٣.
(٣) كما أخبر الله عنه أنه قال: (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) (النازعات الآية٢٤) ، وقال: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) (القصص الآية: ٣٨).
(٤) سورة الشعراء آية: ٢٤ - ٢٨.
(٥) سورة الإسراء آية: ١٠٢.
(٦) سورة النمل آية: ١٤.

والنبات والمعادن وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه.

قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1] (الطور الآية: ٣٥).

يقول سبحانه: أخلقوا من غير خالق؟ أم هم الخالقون لأنفسهم؟ والجواب عن السؤالين واضح، ولذا لم يذكر في الآية، إذ يتعين أن لهم خالقا خلقهم، فالمحدث لا يوجد نفسه، بل إن حصل ما يوجده وإلا كان معدوما.

وهذا الدليل العقلي يمكن تحريره بوجوه من الصور، والنصوص القرآنية دلت عليه، ولم تقتصر عليه، لكنها دلت على معان تجمع هذا المعنى وغيره من صفات الكمال، مثل كونه تعالى قادرا عالما حكيما رحيما عظيما غنيا قيوما صمدا ونحو ذلك.

والنظر في آيات الله الم لة والمخلوقة يؤيد هذا، فالأفعال الحادثة تدل على قدرته سبحانه، وإحكامها وإتقانا يدل على علمه، والعواقب الحميدة في خلقه وأمره يدل على حكمته، وما تضمنه الخلق والأمر من نفع العبادة والإحسان إليهم يدل على رحمته، وعظم المخلوقات يدل على عظم الخالق لها، وفقرها وحاجتها إليه يدل على غناه وقيوميته وصمديته.

وقد دعا الله سبحانه في كتابه إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض، وليس هذا من أجل إثبات الخالق فحسب، ولكن لإثبات أن الخالق موصوف بصفات الكمال التي لا يشركه فيها غيره، ه ه عن صفات النقص، ولإثبات صدق الوحي الذي بلغه رسله - عليهم السلام - قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ

(١) سورة الطور آية: ٣٥.

وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [1] (الجاثية الآية: ٣ - ٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [2] (آل عمران الآية: ١٩٠)، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [3] (الأعراف الآية: ١٨٥)، وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ ﴾ [4] (فصلت الآية: ٥٣).

توحيد الربوبية

الثاني: توحيد الربوبية:

وهو توحيد الله بأفعاله، بمعنى الإقرار بأن الله وحده الخالق لكل شيء، الرب، المالك، المحيي، المميت، الرازق، المدبر، النافع، الضار، إلى غير ذلك من خصائص الربوبية.

وهذا النوع من التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، فلم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال: إن العالم له خالقان متماثلان في الصفات والأفعال، بل هذا ممتنع لذاته، كما سيتبين - إن شاء الله -.

بل ولا نقل عن أحد من بني آدم إثبات شريك مشارك لله في خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل لله في جميع الصفات، بل عامة المشركين بالله يعتقدون أن الشريك مملوك لله، سواء كان ملكا أو نبيا أو كوكبا أو صنما، كما كان مشركو العرب يقولون في تلبيتهم: ﴿ لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك ﴾ [5] رواه مسلم في

(١) سورة الجاثية آية: ٣ - ٦.
(٢) سورة آل عمران آية: ١٩٠.
(٣) سورة الأعراف آية: ١٨٥.
(٤) سورة فصلت آية: ٥٣.
(٥) مسلم الحج (١١٨٥).

صحيحه عن ابن عباس فأهل رسول الله ﷺ بالتوحيد: ﴿ لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ﴾ [1] .

وقد أخبر سبحانه عن المشركين من العرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ أنهم يعترفون بتوحيد الربوبية على وجه العموم، وذكر ذلك في غير آية من كتابه، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [2] (لقمان الآية: ٢٥)، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [3] (العنكبوت الآية: ٦١) وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [4] (العنكبوت الآية: ٦٣) وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ ﴾ [5] (يونس الآية: ٣١) وقال: ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ

---

(١) البخاري الحج (١٤٧٤) ، مسلم الحج (١١٨٤) ، أحمد (١٢٠/٢).
(٢) سورة لقمان آية: ٢٥.
(٣) سورة العنكبوت آية: ٦١.
(٤) سورة العنكبوت آية: ٦٣.
(٥) سورة يونس آية: ٣١.

﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ [1] (المؤمنون الآية: ٨٤ - ٨٩).

ولكن ذهب بعض الناس إلى نسبة بعض الخلق لغير الله كما تقول الثانوية من المجوس في الظلمة، وكما تقول القدرية في أفعال الحيوان، وقد يظن بعض المشركين من العرب وغيرهم في آلهته أنا تنفع وتضر بدون أن يخلق الله ذلك.

ولما كان الشرك في الربوبية موجودا في الناس بين القرآن بطلانه، كما في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [2] (المؤمنون الآية: ٩١).

وهذا دليل عقلي في نفي وجود خالقين، وبيانه أن الإله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا قادرا، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل وقدرة، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك فعل، وإن لم يقدر انفرد بخلقه وذهب به.

فلا بد من أحد أمرين:

١ - إما أن يذهب كل إله بخلقه.

٢ - وإما أن يعلو أحد الشريكين على الآخر [3] .

والواقع المشاهد ينفي تعدد الخالقين، فإن انتظام أمر العالم - سمائه وأرضه علوه وسفله - وإحكامه وإتقانه وارتباطه بعضه ببعض دليل على أن مدبره إله واحد جل وعز.

---

(١) سورة المؤمنون آية: ٨٤ - ٨٩.

(٢) سورة المؤمنون آية: ٩١.

(٣) وهذا مما يستقرأ في الموجودات ، فلا يكون اثنان يشتركان في أمر إلا وفوقهما ثالث يطيعونه ، أو يكون أحدهما مطيعا للآخر ، يمتنع أن يكونا متكافئين وليس فوقهما غيرهما ، فإن تماثلهما يوجب التمانع ، فإن كان أحدهما لا يفعل حتى يمكنه الآخر لزم التمانع ، وإن أمكن كل منهما الفعل بدون تمكين الآخر استقل كل منهما بفعله ، ولم يكن الآخر مشاركا فذهب كل منهما بما فعل ، وإذا لم يكونا متماثلين كان الأضعف مقهورا مع الأقوى محتاجا إلى إعانته أو إلى تخليته وترك ممانعته.

توحيد الألوهية

الثالث: توحيد الألوهية:

وهو توحيد الله بأفعال العباد، بمعنى الإقرار بأن الله وحده الإله المستحق للعبادة دون سواه، وهذا معنى قول لا إله إلا الله، فمعنى هذه الشهادة العظيمة لا معبود بحق إلا الله، فالإله هو المألوه أي المعبود يقال: أَله يأله إلاهةً وألوهية، أي عَبَدَ يعبُد عبادة وعبودية " وقد اتفق على هذا علماء اللغة والشرع.

قال الجوهري في " الصحاح " مادة " أله ": " أله بالفتح إِلَاهَةً، أي عبد عبادة ومنه قولنا " الله " وأصله إلاه، على فعال بمعنى مفعول، لأنه مألوه أي معبود، كقولنا: إمام، فعال بمعنى مفعول، لأنه مؤتم به، فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا، والتأليه: التعبيد، والتأله: التنسك والتعبد.

ونقل عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قوله في معنى " الله ": " الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين "، وقوله: " هو الذي يأله كل شيء ويعبده كل خلق، وروي عنه أيضا أنه قرأ: ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [1] (الأعراف الآية: ١٢٧)، بكسر الهمزة أي وعبادتك وكان يقول: إن فرعون كان يُعبد في الأرض، ونقل مثل هذا عن مجاهد وغيرهما.

وهذا التوحيد هو أول دعوة الرسل، وأول واجب على المكلف، ولأجله خلق الله الجن والإنس، وأرسل رسله، وأنزل كتبه، وهو الذي وقع الـ اع فيه بين الرسل وأقوامهم، وبه افترق الناس إلى مؤمن وكافر، وسعيد وشقي.

قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [2] (الذاريات الآية:

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٢٧.

(٢) سورة الذاريات آية: ٥٦.

٥٦)، وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [١] (الإسراء الآية: ٢٣)، وقال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [٢] (البينة الآية: ٥).

وفي الصحيحين عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ﴿ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: " إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ﴾ [٣] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ﴾ [٤] .

وفي الصحيحين عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله ﴾ [٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ [٦] (النحل الآية: ٣٦)، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ

---

(١) سورة الإسراء آية: ٢٣.
(٢) سورة البينة آية: ٥.
(٣) البخاري الزكاة (١٣٣١) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤).
(٤) البخاري الجهاد والسير (٢٧٨٦) ، مسلم الإيمان (٢١) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٦) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٧١) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٠) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٢٨) ، أحمد (١١/١).
(٥) البخاري الصلاة (٤١٥) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٣٣) ، أحمد (٤٤/٤).
(٦) سورة النحل آية: ٣٦.

إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [1] (الأنبياء الآية: ٢٥).

وذكر الله عن رسله نوح وهود وصالح وغيرهم أنهم قالوا لقومهم: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [2] (الأعراف الآية: ٥٩، ٦٥، ٧٣).

وقال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ﴾ [3] (الشورى الآية: ١٣).

فأمر الرسل بإقامة الدين وأن لا يتفرقوا فيه، ودين الرسل واحد كما قال ﷺ: ﴿ الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتم شتى، ودينهم واحد ﴾ [4] رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة [5] فأصل دينهم واحد وهو الإسلام وإن اختلفت فروع الشرائع.

والإسلام بمعناه العام هو الاستسلام لله وحده بعبادته وحده دون سواه، وجميع الأنبياء على دين الإسلام بهذا المعنى قال تعالى عن نوح ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [6] (يونس الآية: ٧٢).

وقال عن إبراهيم ويعقوب: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ

(١) سورة الأنبياء آية: ٢٥.
(٢) سورة الأعراف آية: ٥٩.
(٣) سورة الشورى آية: ١٣.
(٤) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٥٩) ، مسلم الفضائل (٢٣٦٥) ، أحمد (٢/٤٣٧).
(٥) العلات جمع علة ، وهي الضرة ، وأصله أن الذي تزوج أخرى بعد أولى قبلها ناهل ثم عل من هذه ، وإنما سميت علة لأنا تعل بعد صاحبتها من العلل ، والعلل الشرب الثاني أو الشرب بعد الشرب والنهل الشرب الأول ، بنو العلات: بنو رجل واحد من نسوة شتى.
(٦) سورة يونس آية: ٧٢.

لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [(١)] (البقرة الآية: ١٣٠ - ١٣٢).

وقال في خبر عيسى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [(٢)] (المائدة الآية: ١١١).

وقال فيمن تقدم من الأنبياء: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [(٣)] (المائدة الآية: ٤٤).

فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده بعبادته وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر.

وهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت، فإذا أمر في أول الأمر باستقبال الصخرة، ثم أمر ثانيا باستقبال الكعبة، كان كل من الفعلين حين أمر به داخلا في دين الإسلام، فالدين هو الطاعة والعبادة له في الفعلين وإنما تنوع بعض صور الفعل، وهو وجهة المصلي، فكذلك الرسل دينهم واحد، وإن تنوعت الشرعة والمنهج، فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحدا، كما لم يمنع ذلك في شريعة الرسول الواحد.

والله تعالى جعل من دين الرسل أن أولهم يبشر بآخرهم ويؤمن به، وآخرهم يصدق بأولهم ويؤمن به قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ

---

(١) سورة البقرة آية: ١٣٠ - ١٣٢.
(٢) سورة المائدة آية: ١١١.
(٣) سورة المائدة آية: ٤٤.

وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [1] (آل عمران الآية: ٨١).

أخرج ابن جرير الطبري عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس، رضي الله عنهما قالا: « لم يبعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه » .

وجعل الله الإيمان بالرسل متلازما، وسيأتي لهذا زيادة بيان في الأصل الرابع، إن شاء الله.

شروط لا إله إلا الله:

هذه الكلمة العظيمة التي هي سبب لدخول الشخص في الإسلام لها شروط سبعة يعلق انتفاع قائل هذه الكلمة بها، وقد دلت على هذه الشروط نصوص الكتاب والسنة، وليس المراد حفظها وذكر ألفاظها، ولكن المقصود مراعاتها والتزامها، فقد تجتمع في شخص ولا يحسن تعدادها، وقد يحفظها شخص آخر ويقع بما يناقضها.

الأول: العلم المنافي للجهل:

والمراد العلم بمعناها المراد منها نفيا وإثباتا، قال الله سبحانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [2] (محمد الآية: ١٩)، وقال: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [3] (الزخرف الآية: ٨٦) أي إلا من شهد بلا إله إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم، وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [4] (آل عمران الآية: ١٨).

(١) سورة آل عمران آية: ٨١.
(٢) سورة محمد آية: ١٩.
(٣) سورة الزخرف آية: ٨٦.
(٤) سورة آل عمران آية: ١٨.

الثاني: اليقين المنافي للشك:

بأن يكون قائلها مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما، لا يدخل فيه الظن أو الشك، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [1] (الحجرات الآية: ١٥)، فاشترط سبحانه في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا أي لم يشكوا.

وفي الصحيح عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة ﴾ [2] .

الثالث: القبول المنافي للرد:

والمراد القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه وعمله، ورد ما سوى ذلك مما ينافي هذه الكلمة، خلافا لمكذبي رسل الله الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [3] (الزخرف الآية: ٢٣) .

وقال تعالى في وصف الكافرين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [4] (الصافات الآية: ٣٥، ٣٦).

وفي الصحيح عن أبي موسى الأشعري ﵁ عن النبي ﷺ قال: ﴿ مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس

---

(١) سورة الحجرات آية: ١٥.

(٢) مسلم الإيمان (٢٧) ، أحمد (٤٢١/٢).

(٣) سورة الزخرف آية: ٢٣.

(٤) سورة الصافات آية: ٣٥ - ٣٦.

فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ﴾ [1].

الرابع: الانقياد المنافي للترك:

والمراد الانقياد لما دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه، قال ﷻ ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [2] (الزمر الآية: ٥٤)، وقـال تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ ﴾ [3] (لقمان الآية: ٢٢)، أي بلا إله إلا الله، ومعنى يسلم وجهه ينقاد وهو محسن.

الخامس: الصدق المنافي للكذب:

وهو أن يقولها صادقا من قلبه يواطئ قلبه لسانه، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ ﴾ [4] (العنكبوت الآية: ١ - ٢).

وقال عن المنافقين: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ ﴾ [5] (البقرة الآية: ٨ - ١٠).

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل ﵁ عن النبي ﷺ قال: ﴿ ما من أحد يشهد أن لا

(١) البخاري العلم (٧٩) ، مسلم الفضائل (٢٢٨٢) ، أحمد (٣٩٩/٤).
(٢) سورة الزمر آية: ٥٤.
(٣) سورة لقمان آية: ٢٢.
(٤) سورة العنكبوت آية: ١ - ٢.
(٥) سورة البقرة آية: ٨ - ١٠.

إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صادقا من قلبه إلا حرمه الله على النار ﴾ [(١)] .

السادس: الإخلاص المنافي للشرك:

وهو تصفية العلم بالنية الصالحة عن جميع شوائب الشرك، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [(٢)] (البينة الآية: ٥)، وقال تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [(٣)] (الزمر الآية: ٢ - ٣).

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿ أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ﴾ [(٤)] .

السابع: المحبة المنافية للبغض:

والمراد المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه والمحبة لأهلها العاملين با الملتزمين شروطها، وبغض ما ناقض ذلك من الشرك وأهله، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [(٥)] (البقرة الآية: ١٦٥).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ﴾ [(٦)] .

وفي الصحيحين عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ ثلاث من كن فيه وجد بن

---

(١) البخاري العلم (١٢٨) ، مسلم الإيمان (٣٢).
(٢) سورة البينة آية: ٥.
(٣) سورة الزمر آية:٢ ٣.
(٤) البخاري العلم (٩٩) ، أحمد (٣٧٣/٢).
(٥) سورة البقرة آية: ١٦٥.
(٦) البخاري الإيمان (١٥) ، مسلم الإيمان (٤٤) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٣) ، ابن ماجه المقدمة (٦٧) ، أحمد (٢٠٧/٣) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤١).

حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ﴾ [١] .

---

(١) البخاري الإيمان (١٦) ، مسلم الإيمان (٤٣) ، الترمذي الإيمان (٢٦٢٤) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٨٨) ابن ماجه الفتن (٤٠٣٣) ، أحمد (١٠٣/٣).

العبادة

معنى العبادة لغة وشرعا

أصل معنى العبادة والعبودية في اللغة الذل والخضوع، والتعبيد: التذليل، يقال: طريق مُعبد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام، والعبادة: الطاعة، والتعبد: التنسك.

والعبودية لله نوعان:

قسرية واختيارية، فالعبد يراد به المعبد الذي عبده الله، فذللـه ودبره وصرفه سواء أقر العبد بذلك أو أنكره، وبهذا الاعتبار فالمخلوقون كلهم عباد الله المؤمنون والكفار، الأبرار والفجار، أهل الجنة وأهل النار، إذ هو ربهم كلهم ومليكهم لا يخرجون عن مشيئته وقدرته كما قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [1] (آل عمران الآية: ٨٣)، ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [2] (مريم الآية: ٩٣). ويراد به العابد، وهو الذي يقر بأن الله خالقه ومالكه ومدبره، وأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه، فيعبده بكمال الحب والتعظيم والإجلال والإكرام والخوف والرجاء ونحو ذلك، فيطيع أمره وأمر رسوله.

وهذه العبادة المتعلقة بالإلهية لله تعالى، ولهذا كان عنوان التوحيد لا إله إلا الله، بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده، أو يعبد معه إلها آخر.

وهذه العبادة هي التي يحبها الله ويرضاها، وخلق الخلق لها، وبعث بها رسله، ووصف بها المصطفين من خلقه.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مفتتح كتابه " العبودية " تعريفا للعبادة الشرعية يستوعب مجالاتها وتفصيلاتها، ويبين أن الدين كله داخل في العبادة، فقال:

---

(١) سورة آل عمران آية: ٨٣.

(٢) سورة مريم آية: ٩٣.

" العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ".

الأصول التي تبنى عليها العبادة

الأصول التي تبنى عليها العبادة

عرفنا أن أصل العبادة الذل وأن عبادة الله لا بد أن تتضمن مع كمال الذل له كمال الحب والخوف والرجاء، فهذه ثلاثة أصول: المحبة، الخوف، الرجاء.

١ - المحبة:

وهي أعظم الأصول الثلاثة، والله سبحانه وتعالى وحده يستحق أن يحب لذاته، ومحبة المؤمنين لربهم تتضاعف إذا دخلوا دار النعيم، بينما الخوف ينقطع بزوال المخوف فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وقد أخبر الله تعالى ورسوله ﷺ عن محبة المؤمنين لله فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [1] (البقرة الآية: ١٦٥)، وقال: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [2] (المائدة: ٥٤).

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ ثلاث من كن فيه وجد بن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ﴾ [3] [4] .

وقد جعل الله سبحانه مقياسا لصدق مدعي محبة الله فقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ

---

(١) سورة البقرة آية: ١٦٥.

(٢) سورة المائدة آية: ٥٤.

(٣) البخاري الإيمان (١٦) ، مسلم الإيمان (٤٣) ، الترمذي الإيمان (٢٦٢٤) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٨٨) ابن ماجه الفتن (٤٠٣٣) ، أحمد (١٧٢/٣).

(٤) كما أخبر سبحانه عن محبته لعباده المطيعين له كما قال تعالى: (وَاتخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) ، وقال: (يُحِبهُمْ وَيُحِبونَهُ) ، وقال: (وَأَحْسِنُوا إِن اللهَ يُحِب الْمُحْسِنِينَ) (البقرة الآية ١٩٥) ، (فَإِن اللهَ يُحِب الْمُتقِينَ) (آل عمران الآية ٧٦) وهكذا.

ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [(١)] (آل عمران الآية: ٣١)، فبين سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول ﷺ وأن اتباع الرسول يوجب محبة الله للعبد.

فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب، وهو موافقته في حب ما يحب، وبغض ما يبغض.

وكان المشايخ العاملون يكثرون التحذير ممن يدعي المحبة من غير خشية ولا خوف، لما في ذلك من الفساد الذي وقع فيه طوائف من المتصوفة، ووقع فيه قبل ذلك اليهود والنصارى حينما قالوا ما حكى الله عنهم بقوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ ﴾ [(٢)] (المائدة الآية: ١٨)، وهم مع ذلك يخالفون شريعته.

٢ - الخوف:

أوجب الله سبحانه وتعالى الخوف على كل أحد فقال: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [(٣)] (آل عمران الآية: ١٧٥) وقال تعالى: ﴿ وَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [(٤)] (البقرة الآية: ٤٠) وقال: ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ [(٥)] (المائدة: ٤٤).

ومدح أهل الخوف وأثنى عليهم فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [(٦)] (المؤمنون الآية: ٥٧ - ٦١).

---

(١) سورة آل عمران آية: ٣١.
(٢) سورة المائدة آية: ١٨.
(٣) سورة آل عمران آية: ١٧٥.
(٤) سورة البقرة آية: ٤٠.
(٥) سورة المائدة آية: ٤٤.
(٦) سورة المؤمنون آية: ٥٧ - ٦١.

وفي سنن الترمذي ومسند أحمد ﴿ عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قلت: يا رسول الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﴾ [(١)] هو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق ؟ قال: لا، يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه ﴾

٣ - الرجاء:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [(٢)] (البقرة الآية: ٢١٨)، وقال: ﴿ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [(٣)] (العنكبوت الآية: ٥) وقال: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [(٤)] (الكهف الآية: ١١٠).

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: ﴿ سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه ﴾ [(٥)] وفي الصحيح عنه ﷺ يقول الله عز وجل: ﴿ أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ﴾ [(٦)] .

وقد مدح الله سبحانه الجامعين بين الخوف والرجاء كما في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ

(١) سورة المؤمنون آية: ٦٠.
(٢) سورة البقرة آية: ٢١٨.
(٣) سورة العنكبوت آية: ٥.
(٤) سورة الكهف آية: ١١٠.
(٥) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٧) ، أبو داود الجنائز (٣١١٣) ، ابن ماجه الزهد (٤١٦٧) ، أحمد (٣/٣٩١).
(٦) أحمد (٤/١٠٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٣١).

﴿ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [1] (الإسراء الآية: ٥٧) وقال: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ ﴾ [2] (الزمر الآية: ٩) وقال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾ [3] (السجدة الآية: ١٦).

ولهذا فعلى المسلم أن يجمع بينهما فيكون خائفا راجيا، قال أحد العباد [4] " الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت ".

فالخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطا ويأسا، والرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمنا. وهذه مقامات مذمومة.

قال تعالـى: ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [5] (يوسف الآية: ٨٧)، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [6] (الحجر الآية: ٥٦)، وقال: ﴿ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [7] (الأعراف الآية: ٩٩).

والخـوف المحمود ما حال بين صاحبه ومحارم الله، والرجاء المحمود نوعان:

١ - رجاء رجل عمل بطاعة الله، على نور من الله، فهو راج لثواب الله.

٢ - رجاء رجل أذنب ذنوبا ثم تاب منها إلى الله فهو راج لمغفرته وعفوه وإحسانه.

---

(١) سورة الإسراء آية: ٥٧.

(٢) سورة الزمر آية: ٩.

(٣) سورة السجدة آية: ١٦.

(٤) هو أبو علي محمد بن أحمد بن القاسم الروذباري ، سنة ٣٢٢.

(٥) سورة يوسف آية: ٨٧.

(٦) سورة الحجر آية: ٥٦.

(٧) سورة الأعراف آية: ٩٩.

ففيه الاستبشار بجود الله وفضله، وفيه النظر إلى سعة رحمة الله.

شرطا قبول العبادة

شرطا قبول العبادة

يشترط لقبول العبادة شرطان:

١ - أن لا يُعبد إلا الله.

٢ - أن لا يُعبد إلا بما شرع.

كما قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [(١)] (الكهف الآية: ١١٠)، وقال: ﴿ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [(٢)] (البقرة الآية: ١١٢) وقال: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ [(٣)] (النساء الآية: ١٢٥) .

وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله.

في الأولى: أن لا نعبد إلا إياه.

وفي الثانية: أن محمدا هو رسول الله المبلغ عنه، فعلينا تصديقه في خبره، وطاعته في أمره ونيه.

أنواع العبادة

للعبادة أنواع كثيرة، فالدين كله عبادة، ومن أنواعها الخوف والخشية والرجاء والمحبة، وتقدم أدلتها.

ومن أنواعها أيضا: الدعاء، قال ﷻ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ

---

(١) سورة الكهف آية: ١١٠.

(٢) سورة البقرة آية: ١١٢.

(٣) سورة النساء آية: ١٢٥.

ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [1] (غافر الآية: ٦٠)، وقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [2] (الأعراف الآية: ٥٥)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [3] (البقرة الآية: ١٨٦).

وفي سنن الترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « الدعاء هو العبادة. ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [4] » ، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وفيه أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « الدعاء مخ العبادة » [5] ، قال عنه الترمذي غريب، ومعنى مخ العبادة: أي خالصها.

ومنها الاستعانة وهي طلب العون من الله عز وجل قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [6] (الفاتحة الآية: ٥)، وقال ﷺ لابن عباس: « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » [7] ، وهو حديث حسن صحيح رواه الترمذي.

ومنها الاستعاذة وهي الالتجاء والاعتصام بالله، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ

---

(١) سورة غافر آية: ٦٠.
(٢) سورة الأعراف آية: ٥٥.
(٣) سورة البقرة آية: ١٨٦.
(٤) سورة غافر آية: ٦٠.
(٥) الترمذي الدعوات (٣٣٧١).
(٦) سورة الفاتحة آية: ٥.
(٧) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، أحمد (٣٠٨/١).

﴿ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[1] (النحل الآية: ٩٨)، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾[2] (الفلق الآية: ١ - ٢)، وقال: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴾[3] (الناس الآية: ١ - ٤).

ومنها الاستغاثة وهي طلب الغوث من الله وإزالة الشدة، قال تعالى: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾[4] (الأنفال الآية: ٩)، ومنه دعاء رسول الله ﷺ ﴿ يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا بديع السماوات والأرض برحمتك أستغيث ﴾[5] .

ومنها التوكل: وهو اعتماد القلب علـى الله وثقته به وأنه كافيه، قـال الله ﷻ: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[6] (المائدة الآية: ٢٣)، وقال تعالـى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[7] (إبراهيم الآية: ١١) وقال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾[8] (إبراهيم الآية: ١٢).

ومنها الذبح، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[9] (الأنعام الآية: ١٦٢ -

(١) سورة النحل آية: ٩٨.
(٢) سورة الفلق آية:١ - ٢.
(٣) سورة الناس آية: ١ - ٤.
(٤) سورة الأنفال آية: ٩.
(٥) النسائي السهو (١٣٠٠) ، أبو داود الصلاة (١٤٩٥).
(٦) سورة المائدة آية: ٢٣.
(٧) سورة إبراهيم آية: ١١.
(٨) سورة إبراهيم آية: ١٢.
(٩) سورة الأنعام آية: ١٦٢ - ١٦٣.

١٦٣)، وقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ [1] (الكوثر الآية: ٢).

وغير ذلك من أنواع العبادات الظاهرة والباطنة، فهو حق لله سبحانه وتعالى، وصرف شيء منها لغير الله شرك.

الكفر والشرك والنفاق:

هذه الأسماء تضاد اسم الإيمان والتوحيد، وهي تتنوع إلى أكبر وأصغر.

فالأكبر في الإيمان والتوحيد بالكلية، والأصغر ينافي كمالهما، والأكبر يخرج من ملة الإسلام، والأصغر لا يخرج من الإسلام، والأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة، والأصغر يغفره الله - إن شاء - من غير توبة.

وقال بعض العلماء: إن الشرك الأصغر كالأكبر لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة لعموم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [2] (النساء الآية: ١١٦).

والأكبر يوجب الخلود في النار، والأصغر يوجب استحقاق الوعيد.

الكفر نوعان:

الأول: الكفر الأكبر: ومن صوره:

١ - كفر التكذيب والجحود:

بأن يجحد ما جاء به الرسول ﷺ جملة أو يجحد شيئا خاصا، كأن يجحد وجوب واجب من واجبات الإسلام، أو يجحد تحريم محرم من محرماته، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها رسول الله ﷺ أو خبرا أخبر الله به أو أخبر به رسوله ﷺ ويكون ذلك عمدا لا جهلا أو خطأ أو اشتباها أو تأويلا.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ

(١) سورة الكوثر آية: ٢.

(٢) سورة النساء آية: ١١٦.

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[1] (العنكبوت الآية: ٦٨) وقال: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾[2] (النمل الآية: ١٤) ، وقال: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ ﴾[3] (الشمس الآية: ١١) ونحو ذلك.

٢ - كفر الإباء والاستكبار مع التصديق:

ككفر إبليس، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[4] (البقرة آية: ٣٤)، ويدخل في هذا كفر من عرف الرسول ولم يَنْقَدْ له إباءً واستكبارًا، كما قال تعالى عن اليهود: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ ﴾[5] (البقرة الآية: ٨٩).

٣ - كفر الإعراض:

وهو أن يعرض بسمعه وقلبه عما جاء به رسول الله ﷺ فلا يتعلمه ولا يعمل به كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[6] (السجدة الآية: ٢٢)، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾[7] [8] (الأحقاف الآية: ٣).

---

(١) سورة العنكبوت آية: ٦٨.
(٢) سورة النمل آية: ١٤.
(٣) سورة الشمس آية: ١١.
(٤) سورة البقرة آية: ٣٤.
(٥) سورة البقرة آية: ٨٩.
(٦) سورة السجدة آية: ٢٢.
(٧) سورة الأحقاف آية: ٣.
(٨) هناك ذنوب عملية وهي كفر أكبر وهي التي لا تصدر إلا من شخص زال الإيمان من قلبه ، مثل سب الله ، أو سب رسوله ، أو الاستهانة بالمصحف ونحو ذلك ، وللعلماء أقوال في أركان الإسلام وهي: الصلاة

الثاني: الكفر الأصغر:

وهو الذنوب العملية التي وردت النصوص الشرعية بإطلاق الكفر عليها ولم تصل إلى حد الأكبر، مثل قوله ﷺ ﴿ سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر ﴾ [1] أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود.

وقوله: ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ [2] أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر.

وقوله: ﴿ إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ﴾ [3] أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر وأبي هريرة.

وقوله: ﴿ ثنتان في أمتي هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت ﴾ [4] أخرجه مسلم.

وينبغي أن يلاحظ أنه لو استحل الشخص فعل المحرمات أو ترك الواجبات أو استهزأ بالواجبات أو استهزأ بمن أوجبها وهو الله سبحانه أو رسوله ﷺ فإن كفره يكون من الكفر الأكبر.

الشرك نوعان:

الشرك الأكبر:

والزكاة والصوم والحج ، هل يكون تاركها تاونا وكسلا مع الإقرار بوجوبها كافرا كفرا أكبر أو لا؟ وأظهر الخلاف في الصلاة خاصة والذي يفتي بها كثير من العلماء اليوم أن تارك الصلاة تاونا وكسلا كافر كفرا أكبر.

(١) البخاري الإيمان (٤٨) ، مسلم الإيمان (٦٤) ، الترمذي البر والصلة (١٩٨٣) ، النسائي تحريم الدم (٤١٠٨) ، ابن ماجه المقدمة (٦٩) ، أحمد (٣٨٥/١).

(٢) البخاري العلم (١٢١) ، مسلم الإيمان (٦٥) ، النسائي تحريم الدم (٤١٣١) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٤٢) ، أحمد (٣٥٨/٤) ، الدارمي المناسك (١٩٢١).

(٣) البخاري الأدب (٥٧٥٣) ، مسلم الإيمان (٦٠) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٧) ، أبو داود السنة (٤٦٨٧) ، أحمد (٤٧/٢) ، مالك الجامع (١٨٤٤).

(٤) مسلم الإيمان (٦٧) ، أحمد (٤٩٦/٢).

وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، كما أخبرنا الله عن المشركين أنم يقولون لآلهتهم في النار: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [1] (الشعراء الآية: ٩٧ - ٩٨).

وهو نوعان:

الأول: الشرك بالربوبية والأسماء والصفات:

وهو الشرك المتعلق بذات الله سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله، فإن الرب سبحانه هو الخالق المالك المدبر، المعطي المانع، الضار النافع، الخافض الرافع، المعز المذل، فمن شهد لغيره بشيء من ذلك فقد أشرك في الربوبية والأسماء والصفات.

الثاني: الشرك في الإلهية:

وهو أن يتخذ العبد ندا من دون الله يعبد الله، فيحبه كما يحب الله، ويخافه كما يخاف الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويسأله كما يسأل الله [2] وهذا هو الذي قاتل عليه رسول الله ﷺ مشركي العرب، لأنم أشركوا في الإلهية، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [3] (البقرة الآية: ١٦٥)، وأخبر سبحانه عنهم أنم قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [4] (الزمر الآية: ٣) وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ ﴾ [5]

(١) سورة الشعراء الآيتان: ٩٧، ٩٨.

(٢) يراجع التعريف السابق للعبادة ليعرف أن المحبة قد تكون طبيعة بشرط أن لا تزيد عن الحد المشروع كمحبة الولد والزوج والصديق والمال ونحو ذلك ، وكذا الخوف الطبيعي كالخوف من عدو أو سلطان ظالم أو حيوان مفترس ، وكذا الرجاء والسؤال فلا مانع من سؤال حي حاضر شيئا يقدر عليه ، لكن المحذور هو أن يجعل العبد لشيء من المخلوقات خاصية وراء الأسباب الطبيعية الظاهرة.

(٣) سورة البقرة آية: ١٦٥.

(٤) سورة الزمر آية: ٣.

(٥) سورة ص آية: ٥.

(ص الآية: ٥).

الشرك الأصغر:

مثل يسير الرياء، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ونحو ذلك.

كما قال ﷺ ﴿ " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر "، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال: الرياء ﴾ [(١)] رواه أحمد عن محمود بن لبيد.

وقال ﷺ ﴿ ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل ﴾ [(٢)] رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري.

وقوله ﷺ ﴿ من حلف بغير الله فقد أشرك ﴾ [(٣)] ، وفي رواية ﴿ فقد كفر ﴾ [(٤)] ، رواه أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿ جاء رجل إلى النبي ﷺ يراجعه الكلام فقال: ما شاء الله وشئت، فقال رسول الله ﷺ أجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده ﴾ [(٥)] رواه أحمد وابن ماجه.

وقـال ﷺ ﴿ لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد ﴾ [(٦)] رواه أحمد وابن ماجه عن الطفيل بن سخبرة وحذيفة بن اليمان.

---

(١) أحمد (٤٢٨/٥).
(٢) ابن ماجه الزهد (٤٢٠٤) ، أحمد (٣٠/٣).
(٣) أبو داود الأيمان والنذور (٣٢٥١) ، أحمد (١٢٥/٢).
(٤) الترمذي النذور والأيمان (١٥٣٥) ، أحمد (١٢٥/٢).
(٥) ابن ماجه الكفارات (٢١١٧) ، أحمد (٣٤٧/١).
(٦) ابن ماجه الكفارات (٢١١٨) ، أحمد (٧٢/٥) ، الدارمي الاستئذان (٢٦٩٩).

النفاق نوعان:

النفاق الأكبر:

وهو النفاق الاعتقادي، وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، فهذا صاحبه في الدرك الأسفل من النار، تحت سائر الكفار، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [1] (النساء الآية: ١٤٥).

النفاق الأصغر:

ويسمى النفاق العملي أيضا، وله صور منها ما ورد في قوله ﷺ ﴿ آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان ﴾ [2] رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، وقوله ﷺ ﴿ أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر ﴾ [3] رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو.

التوسل:

التوسل لغة: التقرب والتوصل إلى المطلوب المرغوب.

والوسيلة القربة والواسطة التي يتقرب ويتوصل بها إلى تحصيل المطلوب المرغوب.

والتوسل إلى الله سبحانه نوعان: توسل مشروع، وتوسل مبتدع.

والتوسل المشروع ثلاثة أنواع:

١ - التوسل إلى الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

---

(١) سورة النساء آية: ١٤٥.

(٢) البخاري الإيمان (٣٣) ، مسلم الإيمان (٥٩) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣١) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢١) ، أحمد (٣٥٧/٢).

(٣) البخاري الإيمان (٣٤) ، مسلم الإيمان (٥٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢٠) ، أبو داود السنة (٤٦٨٨) ، أحمد (١٨٩/٢).

بأن يدعو الداعي بها، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ [1] (الأعراف الآية: ١٨٠).

فيقول الداعي: يا غفور اغفر لي، يا رحيم ارحمني، وكان من أدعيته ﷺ ﴿ يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديع السماوات والأرض برحمتك أستغيث ﴾ [2] .

٢ - التوسل إلى الله سبحانه بالإيمان والعمل الصالح واجبا أو مستحبا:

بأن يتقرب المتوسل إلى الله بإيمانه به، وتوحيده ومحبته وتعظيم أمره ونهيه، وكذا إيمانه برسوله ومحبته وطاعته واتباعه وتوقيره، ومحبة أوليائه، ومعاداة أعدائه، والتوسل بذلك على وجهين:

١ - أن يتوسل بذلك إلى حصول رضاء الله وجنته.

٢ - أن يتوسل بذلك إلى إجابة الدعاء.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [3] (آل عمران الآية: ٥٣)، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [4] (آل عمران الآية: ١٦).

ومن الثاني قصة الثلاثة الذين أووا المبيت إلى غار فانحدرت صخرة من الجبل فسدته عليهم فقالوا ﴿ إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ﴾ [5] إلخ رواه البخاري ومسلم.

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٨٠.

(٢) النسائي السهو (١٣٠٠) ، أبو داود الصلاة (١٤٩٥).

(٣) سورة آل عمران آية: ٥٣.

(٤) سورة آل عمران آية: ١٦.

(٥) البخاري الإجارة (٢١٥٢) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٤٣) ، أبو داود البيوع (٣٣٨٧) ، أحمد (١١٦/٢).

٣ - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح:

بأن يطلب من رجل صالح حي حاضر أن يدعو الله له، ومن ذلك توسل الصحابة إلى الله بدعاء الرسول ﷺ في حياته، وكذا توسل الناس بشفاعته يوم القيامة.

والتوسل المبتدع:

ما يفعله بعض الناس من توسلات لم تثبت بدليل صحيح ولا فهم قويم للنصوص، مثل التوسل بذوات الأشخاص وجاههم وحقهم، وهذه ليست مشروعة، ولهذا الصحابة - رضي الله عنهم - لما التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى عدلوا عن التوسل به، وتوسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعمه العباس رضي الله عنه وهذا دليل على أن التوسل أولا كان بدعاء الرسول ثم بدعاء عمه، ولو كانوا يسألون الله سبحانه بجاه الرسول ﷺ لما عدلوا عن ذلك، لأن جاهه أعظم من جاه العباس، وجاهه لا ينقطع بوفاته.

وقول السائل: " أسألك يا الله بحق فلان " فيه محذور من وجهين:

أحدهما: أنه قسم بغير الله وهذا لا يجوز.

الثاني: اعتقاد السائل أن لأحد من المخلوقين على الله حقا، والحال أنه ليس لأحد على الله حق، إلا ما أحقه سبحانه على نفسه نعمة منه وفضلا، وإذا كان لأحد على الله حق أحقه على نفسه بوعده الصادق فهو خاص لصاحب الحق، وليس سببا صالحا للتوسل إذ كأن الداعي يقول: " يا رب لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي " ولا مناسبة ولا رابط، وإنما هو من الاعتداء في الدعاء، وقد قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [1] (الأعراف الآية: ٥٥). والمقصود أن الدعاء من أعظم أنواع العبادة كما تقدم، والعبادة مبناها على الاتباع لا على الابتداع.

وسائل الشرك:

سبق بيان أن الدين كله داخل في العبادة، وذكر شيء من أنواعها، وأن صرف شيء

---

(١) سورة الأعراف آية: ٥٥.

منها لغير الله شرك، وهناك أمور ليست شركا ولكنها وسائل وذرائع إلى الشرك، ولذا نهى عنها، فقد حرص الرسول ﷺ على حماية حمى التوحيد، وسد كل طريق يفضي بأمته إلى الشرك.

ومن تلك الوسائل:

١ - الغلو في الصالحين:

قال ﷺ ﴿ " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم "، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله ﴾ [1] ، رواه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

والإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

وقد كان سبب شرك قوم نوح هو الغلو في الصالحين وتصوير تماثيلهم، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] (نوح الآية: ٢٣)، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت ".

قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

٢ - اتخاذ القبور مساجد:

في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال عند موته:

---

(١) أحمد (٢٣/١).

(٢) سورة نوح آية: ٢٣.

﴿ لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " يحذر ما صنعوا ﴾ [(١)] ،

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله أن النبي ﷺ قال قبل أن يموت بخمس: ﴿ إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أناكم عن ذلك ﴾ [(٢)] ، واتخاذ المكان مسجدا هو أن يتخذ للصلوات الخمس وغيرها، كما تبنى المساجد لذلك فحرمه ﷺ وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده، لأن ذلك وسيلة إلى الشرك، فقد يفضي إلى دعاء صاحب القبر وعبادته.

ولهذا كانت زيارة قبور المسلمين على وجهين: زيارة شرعية، وزيارة بدعية.

فالزيارة الشرعية:

أن يكون مقصود الزائر صلة الرحم، والدعاء للميت، وتذكر الآخرة، ونحو ذلك.

والزيارة البدعية نوعان:

الأول: أن يقصد الزائر دعاء الميت أو طلب الشفاعة وقضاء الحوائج منه، وهذا شرك أكبر.

الثاني: أن يقصد دعاء الله عند القبر؛ لاعتقاده أن ذلك أرجى لقبول دعائه، وذلك محرم لأنه من أسباب الشرك ووسائله.

كما نى رسول الله ﷺ عن تعلية القبور لما في ذلك من الفتنة بأهلها وتعظيمهم، ففي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي: ﴿ ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرا مشرفا إلا سويته ﴾ [(٣)] .

وورد النهي عن إسراجها أيضا، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ﴿ لعن

---

(١) البخاري الصلاة (٤٢٥) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (٦/ ٢٢٩) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣).

(٢) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢).

(٣) مسلم الجنائز (٩٦٩) ، الترمذي الجنائز (١٠٤٩) ، النسائي الجنائز (٢٠٣١) ، أبو داود الجنائز (٣٢١٨).

رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ﴾ [(١)] رواه أهل السنن.

توحيد الأسماء والصفات

الأمر الرابع: توحيد الأسماء والصفات:

وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ نفيا وإثباتا فيثبت لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل [(٢)] .

الأسس التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات

الأسس التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات:

الأول: أسماء الله حسنى، أي بالغة في الحسن غايته وتمامه، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [(٣)] (الأعراف الآية: ١٨٠) وصفاته عليا كاملة، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [(٤)] (النحل الآية: ٦٠) يعني الوصف الأعلى الأكمل الأحسن.

الثاني: أسماء الله وصفاته توقيفية، المرجع فيها القرآن والسنة، فيجب الوقوف على ما جاء فيهما، فلا يزاد ولا ينقص.

الثالث: الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي، والإثبات بلا تمثيل، والنفي بلا تعطيل

---

(١) الترمذي الصلاة (٣٢٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٣) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣٦) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٧٥) ، أحمد (٣٣٧/١).

(٢) التكييف: تحديد وتعيين كيفية الصفة ، أو السؤال عن كيفيتها. التمثيل: تمثيل الله وصفاته بالمخلوقين ، وصفاتم ، أو تمثيل المخلوقين بالله. التحريف: تحريف الكلام: إمالته عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدل عليه اللفظ. التعطيل: تعطيل الله عن أسمائه وصفاته أو بعضها ، فهو نفي صفات الله أو بعضها وإنكار قيامها بذات الله تعالى.

(٣) سورة الأعراف آية: ١٨٠.

(٤) سورة النحل آية: ٦٠.

كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1] (الشورى الآية: ١١).

الرابع: معاني أسماء الله وصفاته معلومة، وكيفيتها مجهولة لا يعلمها إلا الله، قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [2] (طه الآية: ١١٠).

أسماء الله وصفاته

أسماء الله وصفاته:

في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة ﴾ [3] .

ومعنى أحصاها حفظها ورعاها وعَبَدَ الله بمقتضاها.

ولكن أسماء الله ليست محصورة بهذا العد، بل لله أسماء استأثر بعلمها غير ما وردت به النصوص، فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ﴿ ... اللهم أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ﴾ [4] إلخ .

وأسماء الله جل وعلا كثيرة، وهي أسماء وأوصاف، فهي أسماء باعتبار دلالتها على ذاته سبحانه، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من صفات كماله.

ونذكر هنا بعضا من أسمائه وصفاته.

فمن أسمائه:

---

(١) سورة الشورى آية: ١١.

(٢) سورة طه آية: ١١٠.

(٣) البخاري الشروط (٢٥٨٥) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٧) ، الترمذي الدعوات (٣٥٠٧) ابن ماجه الدعاء (٣٨٦٠) ، أحمد (٢/٢٦٧).

(٤) أحمد (١/٤٥٢).

الله، الرب، الرحمن، الرحيم، قال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [1] (الفاتحة الآية: ٢ - ٣).

والله: هو المألوه المعبود.

والرب: هو الخالق والرزاق والمالك والمتصرف، ومربي جميع الخلق بالنعم.

والرحمن الرحيم: اسمان يدلان على الرحمة، والرحمن دال على الصفة القائمة به، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم.

والرحمة قسمان: عـامة لكل أحد، كما قال تعالـى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٦٥ ﴾ [2] (الحج الآية: ٦٥) وخاصة بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ ﴾ [3] (الأحزاب الآية: ٤٣).

الأحد، الصمد: قال تعالى في سورة الإخلاص، وهي تعدل ثلث القرآن: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ [4] (الإخلاص الآية: ١ - ٢).

والأحد: هو المنفرد بالكمال الذي لا نظير له ولا مثيل ولا شريك.

والصمد: الكامل في أوصافه، الذي تصمد إليه الخلائق وتقصده في حوائجها.

الحي، القيوم، العلـي، العظيم، قال تعالـى في آية الكرسي، وهي أعظم آية، وقد أخبر الرسول ﷺ أن مـن قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

(١) سورة الفاتحة آية: ٢ - ٣.
(٢) سورة الحج آية: ٦٥.
(٣) سورة الأحزاب آية: ٤٣.
(٤) سورة الإخلاص آية: ١ - ٢.

خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [1] (البقرة الآية: ٢٥٥).

والحي: ذو الحياة الباقية الكاملة من جميع الوجوه فلا يأخذه نعاس ولا نوم ولا موت، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [2] (الفرقان الآية: ٥٨).

والقيوم: القائم بنفسه المقيم لغيره، فهو الغني عن غيره، ولا قيام لغيره إلا به.

والعلي: الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات.

علو القدر: فله صفات الكمال ونعوت الجلال.

وعلو القهر: فهو القاهر لجميع المخلوقات المتصرف فيها.

وعلو الذات: فهو فوق جميع المخلوقات على العرش استوى.

قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾ [3] (الأعلى الآية: ١)، وقال: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [4] (آل عمران الآية: ٥٥)، وقال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [5] (الملك الآية: ١٦ - ١٧)، والسماء يراد بـا العلو، وإن أريد بـا السماء المخلوقة فهو عليها أي فوقها.

والعظيم: الجامع صفات العظمة والجلال والكبرياء.

* الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، العليم، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٥٥.

(٢) سورة الفرقان آية: ٥٨.

(٣) سورة الأعلى آية: ١.

(٤) سورة آل عمران آية: ٥٥.

(٥) سورة الملك آية: ١٦ - ١٧.

﴿ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (1) (الحديد الآية: ٣).

وقد فسر الرسول ﷺ الأسماء الأربعة بقوله: « اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء » (2) رواه مسلم.

والعليم: الذي أحاط علمه بكل شيء، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (3) (الأنعام الآية: ٥٩).

* السميع البصير: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (4) (الشورى الآية: ١١).

فهو السميع، والسمع صفته، وهو البصير، والبصر صفته، يسمع كل الأصوات ويرى كل الأشياء، لا تخفى عليه خافية.

* الحكيم، الخبير، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (5) (سبأ الآية: ١).

الحكيم: هو الحاكم بين خلقه بأمره الكوني وأمره الشرعي في الدنيا والآخرة يحكم بما يشاء لا معقب لحكمه، وهو ذو الحكمة فأمره وخلقه في غاية الإحكام والإتقان والحسن.

والخبير: المحيط ببواطن الأشياء وظواهرها.

ومن صفاته أيضا بالإضافة إلى ما تضمنته الأسماء السابقة:

---

(١) سورة الحديد آية: ٣.

(٢) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧١٣) ، الترمذي الدعوات (٣٤٨١) ، أبو داود الأدب (٥٠٥١) ابن ماجه الدعاء (٣٨٣١) ، أحمد (٢/٤٠٤).

(٣) سورة الأنعام آية: ٥٩.

(٤) سورة الشورى آية: ١١.

(٥) سورة سبأ آية: ١.

* الوجه: قال تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1] (الرحمن الآية: ٢٧).

* اليدان: قال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [2] (المائدة الآية: ٦٤).

* العينان: قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [3] (الطور الآية: ٤٨) وقال تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [4] (طه الآية: ٣٩)، والجمع لإضافتها إلى ضمير الجمع، والإفراد لإضافتها إلى ضمير المفرد، وإلا فهما عينان، ولذا قال الرسول ﷺ ﴿ إن ربكم ليس بأعور ﴾ [5] .

وهذه الصفات الثلاث صفات ذاتية.

* الاستواء على العرش، قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [6] (طه الآية: ٥)، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [7] (الأعراف الآية: ٥٤)، والاستواء له أربعة معان: العلو والارتفاع والصعود والاستقرار، والاستواء من الصفات الفعلية.

* المعية، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ

---

(١) سورة الرحمن آية: ٢٧.
(٢) سورة المائدة آية: ٦٤.
(٣) سورة الطور آية: ٤٨.
(٤) سورة طه آية: ٣٩.
(٥) البخاري الفتن (٦٧١٢) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٣٣) ، الترمذي الفتن (٢٢٤٥) ، أبو داود الملاحم (٤٣١٦) ، أحمد (٣/٢٩٠).
(٦) سورة طه آية: ٥.
(٧) سورة الأعراف آية: ٥٤.

﴿ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤ ﴾ [1] (الحديد الآية: ٤).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧ ﴾ [2] (المجادلة الآية ٧)، وقال: ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [3] (التوبة الآية: ٤٠) وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ [4] (النحل الآية: ١٢٨).

والمعية نوعان: معية عامة كما في آيتي الحديد والمجادلة وهي المتضمنة لعلمه سبحانه بخلقه وإحاطته بهم.

ومعية خاصة كما في آية التوبة والنحل - وهذه لأوليائه - ومقتضاها النصر والتأييد والحفظ.

* المجيء والإتيان، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ ﴾ [5] (الفجر الآية: ٢٢) وقال: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [6] (البقرة الآية: ٢١٠).

والمراد مجيء الله سبحانه وتعالى وإتيانه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، وهما من الصفات الفعلية.

* النزول إلى السماء الدنيا، في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ

(١) سورة الحديد آية: ٤.
(٢) سورة المجادلة آية: ٧.
(٣) سورة التوبة آية: ٤٠.
(٤) سورة النحل آية: ١٢٨.
(٥) سورة الفجر آية: ٢٢.
(٦) سورة البقرة آية: ٢١٠.

﴿ ي ل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له ﴾ [1] ، وهذا الحديث فيه إثبات نزول الله سبحانه كل ليلة، والـ ول من الصفات الفعلية.

* الكلام، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [2] (الأعراف الآية: ١٤٣)، وقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [3] (المائدة الآية: ١١٦)، وقال: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [4] (التوبة الآية: ٦).

فكلام الله صفة من صفاته، لم يزل الله سبحانه متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وكلام الله صفة ذات باعتبار أصله، وصفة فعل باعتبار آحاده، والقرآن كلام الله م ل غير مخلوق، قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [5] (الأنعام الآية: ١٥٥)، والكلام صفة من صفاته، وصفاته غير مخلوقة.

* المحبة: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥ ﴾ [6] (البقرة الآية: ١٩٥)، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤ ﴾ [7] (التوبة الآية: ٤).

---

(١) البخاري الدعوات (٥٩٦٢) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨) ، الترمذي الصلاة (٤٤٦) ، أبو داود الصلاة (١٣١٥) ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٦٦) ، أحمد (٩٤/٣) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٦) الدارمي الصلاة (١٤٨٤).

(٢) سورة الأعراف آية: ١٤٣.

(٣) سورة المائدة آية: ١١٦.

(٤) سورة التوبة آية: ٦.

(٥) سورة الأنعام آية: ١٥٥.

(٦) سورة البقرة آية: ١٩٥.

(٧) سورة التوبة آية: ٤.

* الرضا، قال تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ [1] (المائدة الآية: ١١٩).

* الغضب، قال تعالى: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [2] (الفتح الآية: ٦).

وهذه الأسماء والصفات تثبت لله تعالى كما أثبتها لنفسه وأثبتها له رسول الله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث، فلا تصرف عن ظاهرها وتأول بمعان أخرى، لأن ذلك عدول عن الظاهر بلا دليل، ولا تكيف أو تمثل بصفات المخلوقين، قال تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [3] (الشورى الآية: ١١)، وقال تعالى: ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾ [4] (مريم الآية: ٦٥) وقال: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ﴾ [5] (الصمد الآية: ٤).

---

(١) سورة المائدة آية: ١١٩.
(٢) سورة الفتح آية: ٦.
(٣) سورة الشورى آية: ١١.
(٤) سورة مريم آية: ٦٥.
(٥) سورة الإخلاص آية: ٤.

الأصل الثاني الإيمان بالملائكة

وهو الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة خلقهم من نور، ووكلهم بأعمال يقومون بها، ومنحهم الطاعة التامة لأمره والقوة على تنفيذه.

والإيمان بهم تفصيلي وإجمالي.

تفصيلي بمن سمى الله أو رسوله منهم، وما ورد من صفاتهم وأعمالهم، وإجمالي بما وراء ذلك.

ففي مادة خلقهم روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ ﴿ خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم ﴾ [1] .

ومن صفات خلقهم أن لهم أجنحة، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ [2] (فاطر الآية: ١).

وأخبر الرسول ﷺ ﴿ أنه رأى جبريل على صفته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح ﴾ [3] .

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما جاء جبريل -عليه السلام- إلى مريم فتمثل لها بشرا سويا، وجاء إلى رسول الله ﷺ بصفة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله إلى إبراهيم ولوط - عليهما السلام - كانوا على صورة بشر.

---

(١) مسلم الزهد والرقائق (٢٩٩٦) ، أحمد (١٥٣/٦).
(٢) سورة فاطر آية: ١.
(٣) البخاري بدء الخلق (٣٠٦٠) ، مسلم الإيمان (١٧٤) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٢٧٧) ، أحمد (٣٩٨/١).

وفي عبادتم وكمال طاعتهم وانقيادهم قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [1] (الأعراف الآية: ٢٠٦)

وقال: ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [2] (الأنبياء الآية: ١٩ - ٢٠)، وقال: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [3] (الأنبياء الآية: ٢٦ - ٢٨) وقال: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [4] (التحريم الآية: ٦).

ووردت النصوص بذكر بعض أسماء الملائكة وأنواعهم وما وكلوا به من أعمال.

مثل جبريل الموكل بالوحي، قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [5] (البقرة الآية: ٩٧)، وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [6] (الشعراء الآية: ١٩٢ - ١٩٤).

وورد في بعض النصوص أن ميكائيل موكـل بالقطر والنبات، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة.

---

(١) سورة الأعراف آية: ٢٠٦.
(٢) سورة الأنبياء آية: ١٩ - ٢٠.
(٣) سورة الأنبياء آية: ٢٦ - ٢٨.
(٤) سورة التحريم آية: ٦.
(٥) سورة البقرة آية: ٩٧.
(٦) سورة الشعراء آية: ١٩٢ - ١٩٤.

وقد جمع الرسول ﷺ هؤلاء الثلاثة في دعاء الاستفتاح في صلاة الليل بقوله: ﴿ اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تدي من تشاء إلى صراط مستقيم ﴾ أخرجه مسلم.

ورد ذكر مالك وهو خازن النار، قال تعالى عن أهل النار: ﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [1] (الزخرف الآية: ٧٧).

ومن أصناف الملائكة:

حملة العرش، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [2] (غافر الآية: ٧)، وقال: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [3] (الحاقة الآية: ١٧).

الحفظة الموكلون بحفظ بني آدم، قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [4] (الرعد الآية: ١١).

الكتبة الموكلون بكتابة أفعال بني آدم، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [5] (الانفطار الآية: ١٠ - ١٢)، وقـال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

(١) سورة الزخرف آية: ٧٧.
(٢) سورة غافر آية: ٧.
(٣) سورة الحاقة آية: ١٧.
(٤) سورة الرعد آية: ١١.
(٥) سورة الانفطار آية: ١٠ - ١٢.

عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [(١)] (ق الآية: ١٧، ١٨) ملكان: صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات.

الملائكة الموكلون بالأجنة في الأرحام، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد » [(٢)] .

الملائكة الموكلون بقبض الأرواح عند الموت، وهم ملك الموت وأعوانه، قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [(٣)] (السجدة الآية: ١١)، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [(٤)] (الأنعام الآية: ٦١).

وغير ذلك من أصناف الملائكة.

---

(١) سورة ق آية: ١٧ - ١٨.

(٢) البخاري التوحيد (٧٠١٦) ، الترمذي القدر (٢١٣٧) ، أبو داود السنة (٤٧٠٨) ، ابن ماجه المقدمة (٧٦) ، أحمد (١/٣٨٢).

(٣) سورة السجدة آية: ١١.

(٤) سورة الأنعام آية: ٦١.

الأصل الثالث الإيمان بالكتب

والمراد الكتب التي أنزلها الله سبحانه على رسله -عليهم السلام- إلى خلقه بالصدق والحق والهدى، فنؤمن تفصيلا بما سمى الله تعالى منها في كتابه، وهي بالإضافة إلى القرآن العظيم الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ :

* التوراة التي أنزلت على موسى -عليه السلام- قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ ﴾ [1] (المائدة الآية: ٤٤).

الإنجيل الذي أنزل على عيسى -عليه السلام- قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2] (المائدة الآية: ٤٦).

الزبور الذي أوتيه داود -عليه السلام- قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾ ﴾ [3] (الإسراء الآية: ٥٥).

الصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى، قال تعالى: ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [4] (النجم الآية: ٣٦ - ٣٧)، وقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [5] (الأعلى الآية: ١٨ ١٩).

ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبا أنزلها على رسله، عليهم السلام.

وأما الإيمان بالقرآن فيزيد على الإيمان بغيره من الكتب، بأنه لا بد من اتباع ما فيه، وأن الله خصه بمزايا عما سبقه من الكتب.

---

(١) سورة المائدة آية: ٤٤.
(٢) سورة المائدة آية: ٤٦.
(٣) سورة الإسراء آية: ٥٥.
(٤) سورة النجم آية:٣٦ - ٣٧.
(٥) سورة الأعلى آية: ١٨ - ١٩.

الأصل الرابع الإيمان بالرسل

وهو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (١) (النحل: ٣٦)، وقال: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢) (فاطر الآية: ٢٤).

وعلينا أن نؤمن تفصيلا بمن سمى الله في كتابه منهم، وهم خمسة وعشرون: آدم، ونوح، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإساعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وشعيب، ويونس، وموسى، وهارون، وإلياس، وزكريا، ويحيى، واليسع، وذو الكفل، وداود، وسليمان، وأيوب، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ونؤمن بأن ثمة رسلا آخرين غيرهم، كما قال تعالى: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ (٣) (النساء الآية: ١٦٤) وقـال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ (٤) (غافر الآية: ٧٨).

ونؤمن بأنهم جميعا بارون، صادقون، أتقياء، أمناء، وأنهم بلغوا كل ما أرسلهم الله به على وفق ما أمرهم، وبينوه بيانا شافيا كافيا، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٥) (النحل الآية: ٣٥)، وقال: ﴿ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ

(١) سورة النحل آية: ٣٦.
(٢) سورة فاطر آية: ٢٤.
(٣) سورة النساء آية: ١٦٤.
(٤) سورة غافر آية: ٧٨.
(٥) سورة النحل آية: ٣٥.

ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [1] (النور: ٥٤، العنكبوت: ١٨).

والإيمان بالرسل متلازم، من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [2] (البقرة الآية: ١٣٦ - ١٣٧) وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ [3] (البقرة الآية: ٢٨٥)، وقـال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ [4] (النساء الآية: ١٥٠ - ١٥١).

وأما الإيمان بمحمد ﷺ فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالا وتفصيلا.

أولو العزم

أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ ﴾ [5] (الأحزاب الآية: ٧)، وقوله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ

(١) سورة النور آية: ٥٤.
(٢) سورة البقرة آية:١٣٦ - ١٣٧.
(٣) سورة البقرة آية: ٢٨٥.
(٤) سورة النساء آية: ١٥٠ - ١٥١.
(٥) سورة الأحزاب آية: ٧.

مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [1] (الشورى الآية: ١٣).

عموم رسالة نبينا محمد ﷺ

بُعث رسولنا محمد ﷺ إلى الجن والإنس جميعا.

أما كونه مبعوثا إلى عامة الجن فدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [2] (الأحقاف الآية: ٢٩ - ٣١)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ [3] (الجن الآية: ١ - ٢).

وثبت أن الجن أتوا إليه وخاطبهم وقرأ عليهم القرآن.

وأما بعثه إلى جميع الناس فقد دلت عليها نصوص كثيرة في القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [4] (سبأ الآية: ٢٨) وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [5] (الأعراف الآية: ١٥٨) وقال: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [6] (الأنعام الآية: ١٩)

---

(١) سورة الشورى آية: ١٣.
(٢) سورة الأحقاف آية: ٢٩ - ٣١.
(٣) سورة الجن آية: ١ - ٢.
(٤) سورة سبأ آية: ٢٨.
(٥) سورة الأعراف آية: ١٥٨.
(٦) سورة الأنعام آية: ١٩.

وقال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾[1] (النساء الآية ٧٩) وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾[2] (الفرقان الآية: ١)، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[3] (الأنبياء الآية: ١٠٧)، وقال: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ ﴾[4] (آل عمران الآية: ٢٠).

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ « أعطيت خمسا لم يعطهن الله أحدا قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة »[5] أخرجاه في الصحيحين.

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار »[6] أخرجه مسلم.

كما بعث رسول الله ﷺ كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وسائر الملوك يدعوهم إلى الإسلام.

---

(١) سورة النساء آية: ٧٩.
(٢) سورة الفرقان آية: ١.
(٣) سورة الأنبياء آية: ١٠٧.
(٤) سورة آل عمران آية: ٢٠.
(٥) البخاري التيمم (٣٢٨) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١) ، النسائي الغسل والتيمم (٤٣٢) ، أحمد (٣٠٤/٣) ، الدارمي الصلاة (١٣٨٩).
(٦) أحمد (٣٥٠/٢).

ومن صدق من اليهود والنصارى برسالة محمد ﷺ ولكن قال: إنه رسول إلى العرب خاصة، فقوله باطل لأنه لما صدق بالرسالة لزمه تصديقه في كل ما يخبر به، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أنه رسول إلى الناس كافة.

أما من كذب برسالته فتبين له دلائل نبوته - عليه الصلاة والسلام - وهي كثيرة.

ختم النبوة به ﷺ

رسولنا محمد ﷺ خاتم النبيين، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [1] (الأحزاب الآية: ٤٠).

ومعنى الآية أن النبيين ختموا بمحمد ﷺ فهو آخرهم.

وقد اختلف العلماء في الفرق بين النبي والرسول، فمنهم من قال: إنه لا فرق فكل نبي رسول، وكل رسول نبي، ومنهم من قال: إن هناك فرقا بينهما، وأصحاب الرأي الثاني أجمعوا على أن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى.

وبذا تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ من ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين ﴾ [2] .

وما أخرجه البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: ﴿ قال رسول الله ﷺ إن لي أسماء: محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٤٠.

(٢) البخاري المناقب (٣٣٤٢) ، مسلم الفضائل (٢٢٨٦) ، أحمد (٣٩٨/٢).

الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي ﴾ [(١)] .

وما أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون ﴾ [(٢)] .

وما أخرجه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب ﷺ ﴿ ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي ﴾ [(٣)] إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة الصريحة في أن النبوة ختمت بنبينا محمد ﷺ قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: " وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ".

الأصل الخامس الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر هو يوم القيامة، حيث يبعث الله العباد من قبورهم للحساب والجزاء، ويقضى بينهم، ففريق في الجنة، وفريق في السعير.

وسمي باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن هذا اليوم العظيم، وما يكون فيه، وما يكون قبله من علاماته حتى لا تكاد سورة من سور القرآن الكريم تخلو عن شيء من ذلك. فأقسم سبحانه به وعليه.

فقال: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ ۝١ ﴾ [(٤)] (القيامة الآية: ١)، وأمر نبيه أن يقسم

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٦١٤) ، مسلم الفضائل (٢٣٥٤) ، الترمذي الأدب (٢٨٤٠) ، أحمد (٨٠/٤) ، مالك الجامع (١٨٩١) ، الدارمي الرقاق (٢٧٧٥).

(٢) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٣) ، أحمد (٤١٢/٢).

(٣) البخاري المغازي (٤١٥٤) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٤) ، الترمذي المناقب (٣٧٢٤) ، ابن ماجه المقدمة (١٢١) ، أحمد (١٨٥/١).

(٤) سورة القيامة آية: ١.

على البعث فقال: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [1] (التغابن الآية: ٧).

ومدح المؤمنين به، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ [2] (البقرة الآية: ٤) وذم المكذبين به، قال تعالى: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ [3] (يونس الآية: ٤٥) وأخبر عن قربه، قال تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ [4] (القمر الآية: ١).

واستدل على إمكانه بأدلة حسية وعقلية:

أما الحسي فقد أخبر الله سبحانه عمن أماتهم ثم أحياهم في هذه الدنيا فذكر ستة أمثلة هي:

الأول: قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [5] (البقرة الآية: ٥٥ - ٥٦)، فهؤلاء قوم موسى لما قالوا هذه المقالة أماتم الله ثم أحياهم.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ۝ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [6] (البقرة الآية: ٧٢ - ٧٣).

---

(١) سورة التغابن آية: ٧.
(٢) سورة البقرة آية: ٤.
(٣) سورة يونس آية: ٤٥.
(٤) سورة القمر آية: ١.
(٥) سورة البقرة آية: ٥٥ - ٥٦.
(٦) سورة البقرة آية: ٧٢ - ٧٣.

فهؤلاء بنو إسرائيل لما اختصموا في أمر القتيل أمروا أن يذبحوا بقرة فيضربوه بعضو منها فحي وأخبر بقاتله ثم عاد ميتا.

الثالث: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [1] (البقرة الآية: ٢٤٣).

وهم قوم من بني إسرائيل وقع فيهم الوباء ففروا هاربين فأماتم الله تعالى ثم أحياهم.

الرابع: قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [2] (البقرة الآية: ٢٥٩).

فهذا مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى فأماته سبحانه مائة سنة ثم أحياه.

الخامس: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [3] (البقرة الآية: ٢٦٠).

فهذا إبراهيم عليه السلام سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فأمره تعالى بذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن فتجتمع الأجزاء بعضها إلى بعض ويأتين إليه سعيا.

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٤٣.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٥٩.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٦٠.

السادس: قصة أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾[1] (الكهف الآية: ٢٥)، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ﴾[2] (الكهـف الآية: ١٩)، وقـال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾[3] (الكهف الآية٢١).

العقل ودلالته على البعث

أما العقل فدلالته على البعث من وجوه:

الأول: الاستدلال على النشأة الثانية بالنشأة الأولى، والقادر على الابتداء لا يعجز عن الإعادة، قـال تعالـى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾[4] ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[5] (يس الآية: ٧٨ - ٧٩).

الثاني: الاستدلال بخروج الشيء من ضده، كإخراج النار الحارة اليابسة من الشجر الأخضر البارد الرطب قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[6] (يس الآية: ٨٠).

الثالث: الاستدلال بخلق الأكبر على إيجاد الأصغر، قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ ﴾[7] (يس الآية: ٨١).

---

(١) سورة الكهف آية: ٢٥.
(٢) سورة الكهف آية: ١٩.
(٣) سورة الكهف آية: ٢١.
(٤) سورة يس آية: ٧٨.
(٥) سورة يس آية: ٧٩.
(٦) سورة يس آية: ٨٠.
(٧) سورة يس آية: ٨١.

الرابع: الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتا على إحياء الأموات، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1] (فصلت الآية ٣٩).

الخامس: الاستدلال على البعث بحصول اليقظة بعد النوم، فإن النوم أخو الموت، واليقظة شبيهة بالحياة بعد الموت، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[2] (الأنعام الآية ٦٠).

السادس: الاستدلال بأن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء، قـال تعالـى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[3] (المؤمنون الآية ١١٥).

وقت الساعة

أما وقت الساعة:

فهو مما استأثر الله بعلمه، وهي إنما تقع بغتة، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[4] (الأعراف الآية: ١٨٧).

---

(١) سورة فصلت آية: ٣٩.
(٢) سورة الأنعام آية: ٦٠.
(٣) سورة المؤمنون آية: ١١٥.
(٤) سورة الأعراف آية: ١٨٧.

وقد قال رسول الله ﷺ ﴿ بعثت أنا والساعة كهاتين ﴾ [1] ويشير بأصبعيه. رواه البخاري ومسلم.

وكان ﷺ إذا سئل عن موعدها ينفي علمه بها، ويرشد إلى ما هو أصلح للسائل وهو الاستعداد لها قبل وقوعها، وربما أشار إلى القيامة الصغرى وهي الموت، إذ لما قال له جبريل عليه السلام: ﴿ أخبرني عن الساعة، قال الرسول ﷺ ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ﴾ [2] رواه البخاري ومسلم، وفيهما ﴿ أن أعرابيا قال له: متى الساعة ؟ قال ﷺ ويحك إن الساعة آتية، فما أعددت لها ﴾ [3] وفيهما عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ﴿ كان رجال من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسألونه متى الساعة ؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: " إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم ﴾ [4] يعني موتم.

لكن وردت الأخبار في القرآن والسنة بذكر علاماتا وأشراطها، فمما ذكره الله سبحانه من علاماتا الكبار، الدخان، ونزول عيسى بن مريم - عليه السلام -، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربا، وخروج الدابة.

وقد بين الرسول ﷺ تفاصيل هذه الأمور، وذكر أيضا أمورا أخرى منها: خروج الدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم وأخبر عليه السلام أنه لا تقوم الساعة حتى

---

(١) البخاري الرقاق (٦١٣٩) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٥١) ، الترمذي الفتن (٢٢١٤) ، أحمد (٣/ ٢٣٧) ، الدارمي الرقاق (٢٧٥٩).

(٢) البخاري تفسير القرآن (٤٤٩٩) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٢/٤٢٦).

(٣) البخاري الأدب (٥٨١٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٣٩) ، الترمذي الزهد (٢٣٨٥) ، أبو داود الأدب (٥١٢٧) ، أحمد (٣/٢٨٣).

(٤) البخاري الرقاق (٦١٤٦) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٥٢).

تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل، وحتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى ".

وهذه العلامات وغيرها تنقسم إلى قسمين: صغرى وكبرى، والصغرى أقسام: منها ما وقع وانقضى، ومنها ما وقع واستمر، ومنها ما لم يقع، أما الكبار فلم تقع، وهي متتابعة، إذا وقعت أولاها تبعها الباقي.

والإيمان باليوم الآخر يتناول الإيمان بكل ما دلت عليه نصوص القرآن والسنة من أحوال الموت وما بعده، والإيمان بالموت يتضمن أمورا:

أ - أن الموت حتم لازم لجميع الخلق في هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [(1)] (العنكبوت الآية: ٥٧)، وقال: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [(2)] (القصص الآية: ٨٨).

ب - أن كُلًّا له أجل محدود، لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، فقد سبق به علم الله سبحانه، وقد قدره وقدر السبب الذي يموت به، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ ﴾ [(3)] (آل عمران الآية: ١٤٥)، وقال: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [(4)] (الأعراف الآية: ٣٤).

جـ - أن ذلك الأجل غيب استأثر الله به، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ

---

(١) سورة العنكبوت آية: ٥٧.
(٢) سورة القصص آية: ٨٨.
(٣) سورة آل عمران آية: ١٤٥.
(٤) سورة الأعراف آية: ٣٤.

أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] (لقمان الآية: ٣٤).

د - أن للشخص إذا نزل به الموت أحوالا، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] (الأنعام الآية: ٦١)، وقـال تعالـى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [3] (الواقعة الآية: ٨٣ - ٨٥).

والمقصود أن الروح إذا بلغت الحلقوم حال احتضار الميت، ومن حوله ينظرون إليه، والله سبحانه وتعالى أقرب إليه منهم بعلمه وملائكته ولكن لا يبصرون.

والمفرط الظالم إذا حضره الموت يندم ويطلب الرجوع إلى الدنيا، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [4] (المؤمنون الآية: ٩٩ - ١٠٠).

قد وصف الله حال إخراج روح الكافر، قال تعالى: ٣٠ ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [5] (الأنعام الآية: ٩٣)، أي باسطو أيديهم إليهم بالضرب وأنواع العذاب.

وفي مسند الإمام أحمد وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن

---

(١) سورة لقمان آية: ٣٤.
(٢) سورة الأنعام آية: ٦١.
(٣) سورة الواقعة آية: ٨٣ - ٨٥.
(٤) سورة المؤمنون آية: ٩٩ - ١٠٠.
(٥) سورة الأنعام آية: ٩٣.

العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان "، قال: " فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها ".

قال: " وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح [١] فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود [٢] من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها.. » الحديث.

أما ما بعد الموت فجليل وخطير، منه ما هو في القبر، ومنه ما يكون بعد البعث من القبور.

فالذي في القبر شيئان:

أ - فتنة القبر:

فإن الميت يمتحن إذا وضع في قبره، إذ يأتيه ملكان ويسألانه: من ربك ؟ وما دينك ؟ وما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، وعن الرجل الذي بعث فيهم يقول: هو عبد الله ورسوله.

ويقول الكافر: هاه، هاه، لا أدري، ويقول المنافق أو المرتاب: لا أدري سمعت الناس

---

(١) المسوح جمع مسح ، بكسر الميم وهو ما يلبس من الشعر.

(٢) السفود: الحديدة كثيرة الشعب ، والجمع سفافيد.

يقولون شيئا فقلته.

ب - نعيم القبر وعذابه:

بعد فتنة القبر يبقى الميت إما في نعيم أو عذاب إلى أن تقوم القيامة وهذا يحصل لروحه وبدنه جميعا، ويحصل للروح منفردة عن البدن.

وقد تضافرت الأدلة من القرآن والسنة في ثبوت سؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه، فيجب اعتقاده والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته.

فمن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [1] (إبراهيم الآية: ٢٧).

وقوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2] (غافر الآية: ٤٥ - ٤٦).

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب ﵁ عن النبي ﷺ قال: « إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [3] » (إبراهيم الآية: ٢٧).

وفي رواية أخرى فيهما زاد ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [4] نزلت في عذاب القبر وفي مسند الإمام أحمد وغيره عن البراء (وقد تقدم أوله) بعد ذكر صعود الملائكة بروح المؤمن وإعادتنا إلى الأرض، قال: « فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان،

---

(١) سورة إبراهيم آية: ٢٧.
(٢) سورة غافر آية: ٤٥ - ٤٦.
(٣) سورة إبراهيم آية: ٢٧.
(٤) سورة إبراهيم آية: ٢٧.

فيجلسانه، فيقولان له: من ربك ؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك ؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك ؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به، وصدقت، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد البصر ".

وقال عن الكافر: " فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك ؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه.. ﴾ [1].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ﵁ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا، وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ﴾ [2].

وفي الصحيحين عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ مر بقبرين يعذبان فقال: ﴿ إنما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين ثم غرز في كل قبر واحدة

---

(١) أبو داود السنة (٤٧٥٣) ، أحمد (٢٨٨/٤).

(٢) البخاري الجنائز (١٣٠٨) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٥١) ، أحمد (٣/١٢٦).

فقالوا: يا رسول الله لم فعلت هذا؟ فقال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا ﴾ [1] .

وكان النبي ﷺ يتعوذ من عذاب القبر، ويأمر بالتعوذ منه، والأحاديث في هذا كثيرة.

نعيم القبر وعذابه

وعذاب القبر نوعان:

فمنه ما هو دائم، كما قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ ﴾ [2] (غافر الآية: ٤٦)، ومنه ما هو منقطع، وهو عذاب بعض عصاة المسلمين، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه، وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة، ونحو ذلك من الأسباب النافعة.

وقد أنكر قوم من الضلال نعيم القبر وعذابه، وشبهتهم أنهم لا يدركونه ولا يرون الميت يُسأل ولا ينعم ولا يعذب.

والجواب من وجوه:

١ - أن هذه الأمور ثبتت بالخبر الصادق، وواجب المسلم التصديق بها وإثباتها، وبهذا يتميز المؤمنون بالغيب، المهتدون بهدي الرسول ﷺ عن غيرهم.

٢ - أن للآخرة أحكاما تختص بها لا تقاس على أحوال الدنيا، ولذا نحن لا نشعر بما يكون للميت، وقدرة الله سبحانه أعظم وأوسع، وقد اقتضت حكمته جل وعز أن لا يشاهد ذلك الناس ولا يسمعوه، لأن طاقتهم لا تحتمله، وخشية أن لا يتدافنوا، وليتميز المؤمن عن غيره.

٣ - أن الإنسان لا يدرك كل شيء، فكان جبريل -عليه السلام- ينزل إلى النبي ﷺ ويكلمه، ومن عنده لا يراه ولا يسمعه، وكل شيء يسبح بحمد الله، ولكننا لا نفقه تسبيحه، وهكذا.

---

(١) البخاري الوضوء (٢١٥) ، مسلم الطهارة (٢٩٢) ، الترمذي الطهارة (٧٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٦٨) ، أبو داود الطهارة (٢٠) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٣٤٧) ، أحمد (٢٢٥/١) ، الدارمي الطهارة (٧٣٩).

(٢) سورة غافر آية: ٤٦.

٤ - أن الله سبحانه أرانا في هذه الدنيا نماذج تقرب هذه المعاني، فهذا النائم يرى في منامه أمورا سارة مفرحة، وأخرى بخلافها، هو في فراشه بعيدا عما رأى، ومن حوله لا يحسون به.

وكذلك ما وجد من الاختراعات الحديثة وخصائصها، فهذه أسلاك الكهرباء لا نحس فيها شيئا، ومع ذلك لها هذا التأثير، ومعلوم ما يحدث لمن يمسها وهي عارية، وفرق بين من يمسها بحديدة أو خشبة.

أما البعث من القبور:

فيكون عند النفخ في الصور، والنافخ فيه هو إسرافيل - عليه السلام - وقد دل القرآن على أن له ثلاث نفخات:

١ - نفخة الفزع:

ويكون بها اضطراب هذا العالم وفساد نظامه، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [١] (النمل الآية: ٨٧).

٢ - نفخة الصعق:

وفيها هلاك كل شيء في هذا العالم، قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [٢] (الزمر الآية: ٦٨).

٣ - نفخة البعث والنشور:

حيث يقوم الناس من قبورهم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [٣] (الزمر الآية: ٦٨).

---

(١) سورة النمل آية: ٨٧.
(٢) سورة الزمر آية: ٦٨.
(٣) سورة الزمر آية: ٦٨.

الحشر

يقوم الناس من قبورهم على صفة بينها الرسول ﷺ ففي الصحيحين عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ﴾ أي غير مختونين.

وفي صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم من العرق... ﴾ [1] الحديث.

وفي هذا الموقف يشفع النبي ﷺ للناس في أن يأتي الله سبحانه لفصل القضاء بعد أن يعتذر عنها آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى - عليهم السلام -، وهي الشفاعة العظمى والمقام المحمود.

العرض والحساب

العرض: عرض الخلائق على الله ﷻ قال تعالى: ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ [2] (الكهف الآية: ٤٨)، وقال: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [3] (الحاقة الآية: ١٨).

والحساب: تعريف الله ﷻ الخلائق بأعمالهم خيرا أو شرا، وتذكيرهم ما قد نسوه منها قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ ﴾ [4] (المجادلة الآية: ٦).

---

(١) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٤) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٢١) ، أحمد (٤/٦).
(٢) سورة الكهف آية: ٤٨.
(٣) سورة الحاقة آية: ١٨.
(٤) سورة المجادلة آية: ٦.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [1] (الغاشية الآية: ٢٥ - ٢٦)، وقال ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ [2] (إبراهيم الآية: ٤٧ - ٥١).

وفـي هذا الموقف تنشر الصحف، ويسأل الجميع، الرسل وأممهم، قـال تعالـى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [3] (الأعراف: ٦).

ولكن الناس متفاوتون في السؤال والمحاسبة، فالمؤمنون تعرض عليهم ذنوبهم ويقرون بها ويسترون، ففي الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ من نوقش الحساب عُذب، فقلت: أليس يقول الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [4] (الانشقاق الآية: ٨) قال: ذلك العرض ﴾

وفي الصحيحين عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: ﴿ يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه [5] فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف ؟ فيقول: أي رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ﴾ .

(١) سورة الغاشية آية: ٢٥ - ٢٦.
(٢) سورة إبراهيم آية: ٤٧ - ٥١.
(٣) سورة الأعراف آية: ٦.
(٤) سورة النشقاق آية: ٨.
(٥) أي: ستـره.

﴿ ومن المؤمنين من يدخل الجنة بلا حساب كالسبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ﴾ [1] ، كما ثبت في حديث ابن عباس، أخرجه البخاري ومسلم.

أما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، لأنه لا حسنات لهم قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] (الفرقان الآية: ٢٣) لكن حسابم عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها.

الميزان

وهو ميزان ينصب يوم القيامة لوزن أعمال العباد وتمييزها وإظهار مقاديرها، والوزن يكون بعد الحساب، لأن المحاسبة هي لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها.

وقـد استفاضت النصوص من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [3] (الأنبياء الآية: ٤٧).

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ [4] (القارعة الآيات: ٦ - ٩)، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان

---

(١) البـخاري الرقاق (٦١٠٧) ، مسلم الإيمان (٢٢٠) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٤٦) ، أحمد (٢٧١/١).

(٢) سورة الفرقان آية: ٢٣.

(٣) سورة الأنبياء آية: ٤٧.

(٤) سورة القارعة آية: ٦ - ٩.

في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده ﴾ [1] .

صحائف الأعمال

بعد الانتهاء من الحساب والميزان، يأخذ كل كتابه، ويقرأ ما فيه، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۝ ﴾ [2] (الحاقة الآيات: ١٩ - ٢٩).

الصراط

وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الأولون والآخرون فمن جازه سلم من النار، ووقت المرور عليه بعد مفارقة الناس لموقف الحساب، فإن الصراط ينجو عليه المؤمنون من النار إلى الجنة، ويسقط منه أهل النار فيها، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝ ﴾ [3] (مريم الآيتان: ٧١ - ٧٢).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ أن ناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ وفيه قوله ﷺ " ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم

---

(١) البخاري الدعوات (٦٠٤٣) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٤) ، الترمذي الدعوات (٣٤٦٧) ، ابن ماجه الأدب (٣٨٠٦) ، أحمد (٢/٢٣٢).

(٢) سورة الحاقة آية: ١٩ - ٢٩.

(٣) سورة مريم آية:٧١ - ٧٢.

كلاليب مثل شوك السعدان " [١] .

هل رأيتم السعدان ؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم ﴾ .

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ ﴿ ... ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم " قيل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال: " دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم... ﴾ [٢] .

القنطرة

بعد عبور المؤمنين على الصراط ونجاتهم من النار، وقبل دخولهم الجنة يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا، فإذا هذبوا أذن لهم بدخول الجنة فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا ﴾ [٣] رواه البخاري.

واختلف في القنطرة فقيل هي من تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل إنهما صراطان.

(١) الكلاليب جمع كلوب وهي حديدة معطوفة الرأس ، والسعدان نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب.

(٢) مسلم الإيمان (١٨٣).

(٣) البخاري الرقاق (٦١٧٠) ، أحمد (١٣/٣).

الحوض

هو حوض النبي ﷺ ففي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال النبي ﷺ ﴿ حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيسانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا ﴾ [1] .

ووردت في الحوض أحاديث أخرى كثيرة في الصحيحين وغيرهما.

الجنة والنار

وهم الداران اللتان يستقر فيهما الخلائق، أعدهما الله سبحانه وتعالى جزاء للعباد على أعمالهم.

فالجنة دار النعيم والكرامة لأولياء الله المؤمنين المتقين، الذين آمنوا بالله وبرسوله وبما جاء به، وقاموا بطاعة الله ورسوله مخلصين العبادة لله، والمتابعة لرسوله ﷺ قـال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ [2] (البينة الآية: ٧ - ٨).

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ﴾ [3] (آل عمران الآية: ١٣٣).

وفي الجنة من أنواع النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾ [4] (السجدة الآية ١٧).

(١) البخاري الرقاق (٦٢٠٨) ، أحمد (١٦٣/٢).
(٢) سورة البينة آية: ٧ - ٨.
(٣) سورة آل عمران آية: ١٣٣.
(٤) سورة السجدة آية: ١٧.

وأعظم نعيم الجنة رؤية أهلها لربهم جل وعز عيانا بأبصارهم كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] (القيامة الآية: ٢٢ - ٢٣)، وكما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المتواترة.

أما النار فهي دار العذاب والإهانة أعدها الله لأعدائه الكافرين، الذين كفروا به وعصوا رسله، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [2] (آل عمران الآية: ١٣١).

وفي النار أنواع العذاب والنكال، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [3] (الكهف الآية ٢٩).

وقد استفاضت نصوص القرآن والسنة في وصف الجنة والنار وأنما مخلوقتان موجودتان الآن، وبيان ما أعده الله فيهما من النعيم المقيم أو العذاب الأليم.

والجنة والنار باقيتان لا تفنيان، قال تعالى عن الجنة ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ ﴾ [4] (الرعد الآية: ٣٥) وقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [5] (ص الآية٥٤) وقال: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ ﴾ [6] (البينة الآية: ٨)، وقال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴾ [7] (الدخان الآية: ٥٦)، وقال: ﴿ وَمَا هُم مِّنۡهَا

(١) سورة القيامة آية: ٢٢ - ٢٣.
(٢) سورة آل عمران آية: ١٣١.
(٣) سورة الكهف آية: ٢٩.
(٤) سورة الرعد آية: ٣٥.
(٥) سورة ص آية: ٥٤.
(٦) سورة البينة آية: ٨.
(٧) سورة الدخان آية: ٥٦.

بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1] (الحجر الآية: ٤٨).

وقال سبحانه عن النار: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾ ﴾[2] (المائدة الآية: ٣٧)، وقال: ﴿ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ ﴾[3] (فاطر الآية: ٣٦) وقال: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ﴾[4] (النساء الآية ١٦٩).

الشفاعة

أول من يستفتح باب الجنة نبينا محمد ﷺ وأول من يدخلها من الأمم أمته.

وهذه الشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، والشفاعة العظمى في أهل الموقف حتى يقضي الله بينهم، وشفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب، شفاعات ثلاث خاصة بنبينا محمد ﷺ .

وهناك شفاعات أخرى يشاركه فيها غيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين منها:

١ - الشفاعة فيمن استحق النار من عصاة الموحدين أن لا يدخلها.

٢ - الشفاعة فيمن دخل النار من هؤلاء العصاة أن يخرج منها.

٣ - الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة.

وهذه الشفاعات لا تتحقق إلا بشرطين:

١ - إذن الله للشافع، قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾[5] (البقرة الآية: ٢٥٥).

---

(١) سورة الحجر آية: ٤٨.
(٢) سورة المائدة آية: ٣٧.
(٣) سورة فاطر آية: ٣٦.
(٤) سورة النساء آية: ١٦٩.
(٥) سورة البقرة آية: ٢٥٥.

٢ - رضا الله عن المشفوع له، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [1] (الأنبياء الآية: ٢٨).

وكل هذه الأمور الأخروية، ما يكون في البرزخ، وما يكون في مواقف القيامة، وما يكون في الجنة والنار، نعلم منها ما أخبرنا الله ورسوله عنه من أحوالها وصفاتا ونؤمن به، ولا نعلم كيفيته.

(١) سورة الأنبياء آية: ٢٨.

الأصل السادس الإيمان بالقدر خيره وشره

القدر: تقدير الله جل وعلا للكائنات.

والأدلة من القرآن والسنة على إثبات القدر ووجوب الإيمان به كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [1] (القمر الآية: ٤٩)، وقوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [2] (الأحزاب الآية: ٣٨)، وقوله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ ﴾ [3] (التغابن الآية ١١).

وفي صحيح مسلم ﴿ أن عبد الله بن عمر بن الخطاب لما نقل له أن أناسا يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم [4] وأنهم يزعمون أن لا قَدَرَ وأن الأمر أُنف [5] قال: " فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر "، ثم روى عن أبيه عن رسول الله ﷺ حديث جبريل ﴾ .

وفي صحيح مسلم عن طاوس بن كيسان أنه قال: ﴿ أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ " كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز [6] ﴾ .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ المؤمن القوي خير

---

(١) سورة القمر آية: ٤٩.

(٢) سورة الأحزاب آية: ٣٨.

(٣) سورة التغابن آية: ١١.

(٤) يتقفرون العلم: يطلبونه.

(٥) أي مستأنف ، لم يسبق به قدر.

(٦) العجز عدم القدرة ، أو ترك ما يجب فعله والتسويف به وتأخيره عن وقته. والكيس ضده ، وهو النشاط والحذق بالأمور.

وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان ﴾ [(١)] .

مراتب الإيمان بالقدر

والإيمان بالقدر يشتمل على أربع مراتب:

*** المرتبة الأولى:**

الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات، وأنه تعالى قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم جميع أحوالهم وأعمالهم من الأرزاق والآجال والطاعات والمعاصي وغيرها.

*** المرتبة الثانية:**

الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

ومن الأدلة على هاتين المرتبتين قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [(٢)] (الحج الآية ٧٠).

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء ﴾ [(٣)] .

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا فالأول تقدير عام لجميع المخلوقات وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، والثاني خاص مفصل للعام وهو ثلاثة تقادير:

---

(١) مسلم القدر (٢٦٦٤) ، ابن ماجه المقدمة (٧٩) ، أحمد (٢/٣٧٠).

(٢) سورة الحج آية: ٧٠.

(٣) مسلم القدر (٢٦٥٣) ، الترمذي القدر (٢١٥٦) ، أحمد (٢/١٦٩).

١ - التقدير العمري:

عند تخليق النطفة في الرحم، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيد ﴾ [(١)].

٢ - التقدير الحولي:

في ليلة القدر، إذ يقدر فيها ما يكون في السنة من أمور ووقائع، قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [(٢)] (الدخان الآية: ٤).

٣ - التقدير اليومي:

وهو ما يقدر من حوادث اليوم من حياة وموت وعز وذل وغير ذلك، قال تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [(٣)] (الرحمن الآية: ٢٩).

المرتبة الثالثة:

الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئته سبحانه، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد وهو على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [(٤)] (القصص الآية: ٦٨)، وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [(٥)] (هود الآية:

---

(١) البخاري التوحيد (٧٠١٦) ، مسلم القدر (٢٦٤٣) ، الترمذي القدر (٢١٣٧) ، أبو داود السنة (٤٧٠٨) ، ابن ماجه المقدمة (٧٦) ، أحمد (٤١٤/١).

(٢) سورة الدخان آية: ٤.

(٣) سورة الرحمن آية: ٢٩.

(٤) سورة القصص آية: ٦٨.

(٥) سورة هود آية: ١٠٧.

١٠٧)، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [1] (البقرة الآية: ٢٠).

ولكن الإرادة نوعان:

١ - **إرادة كونية قدرية:** وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث، ولا يلزم منها المحبة والرضا، كقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ ﴾ [2] (الأنعام الآية: ١٢٥).

٢ - **إرادة دينية شرعية:** تتضمن المحبة والرضا كما في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ [3] (البقرة الآية: ١٨٥)، فإذا وقعت الطاعة فقد أرادها الله إرادة كونية بمعنى قدرها وشاءها، وأرادها إرادة شرعية بمعنى أنه يحبها ويرضاها، وإذا وقعت المعصية فقد أرادها سبحانه إرادة كونية، وإلا فهو يبغضها ولا يرضاها.

المرتبة الرابعة:

الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، فما سواه مخلوق، والله خالقه وخالق فعله وحركته وسكونه، لا خالق غيره، ولا رب سواه، قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [4] (الزمر الآية: ٦٢).

وقال عن نبيه إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- أنه قال لقومه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [5] (الصافات الآية: ٩٦).

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٠.
(٢) سورة الأنعام آية: ١٢٥.
(٣) سورة البقرة آية: ١٨٥.
(٤) سورة الزمر آية: ٦٢.
(٥) سورة الصافات آية: ٩٦.

والعباد فاعلون حقيقة ولهم قدرة وإرادة والله خالقهم وخالق قدرتم وإرادتم، قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[(١)] (التكوير الآية: ٢٨ - ٢٩).

فأثبت سبحانه لهم مشيئة، ولكنها لا تنفذ إلا أن يشاء الله.

ولأن للعباد قدرة ومشيئة كلفوا، وأرسلت لهم الرسل، وأنزلت الكتب، وبذا يحصل البيان وتقوم الحجة، وعلى أعمالهم يثابون ويعاقبون ولهذا وجب على العبد الإيمان بقدر الله والامتثال لشرعه وسؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، كما ينبغي اتخاذ الأسباب لجلب ما ينفع ودفع ما يضر في سائر أمور الدنيا والآخرة، مع التوكل على الله، وسؤاله التوفيق والتيسير في تحقيق المرغوب، ودفع المكروه، وإذا نفعت الأسباب حمد الله وشكره، وإذا لم تنفع اطمأن لأنه بذل ما يقدر عليه، وصبر واحتسب الأجر وسأل الله العوض.

قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ ﴾[(٢)] (البقرة الآية: ٢٨٦).

وقال النبي ﷺ ﴿ اعملوا فكل ميسر لما خلق له ﴾[(٣)] ، رواه البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقال ﷺ ﴿ عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ﴾[(٤)] رواه مسلم.

---

(١) سورة التكوير آية: ٢٨ - ٢٩.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٨٦.

(٣) البخاري تفسير القرآن (٤٦٦٦) ، مسلم القدر (٢٦٤٧) ، الترمذي القدر (٢١٣٦) ، أبو داود السنة (٤٦٩٤) ، ابن ماجه المقدمة (٧٨) ، أحمد (١٥٧/١).

(٤) مسلم الزهد والرقائق (٢٩٩٩) ، أحمد (١٦/٦) ، الدارمي الرقاق (٢٧٧٧).

مسائل الإيمان

مسمى الإيمان

لفظ الإيمان في نصوص القرآن والسنة يذكر مفردا، ويذكر مقرونا بالإسلام، فإذا ذكر مقرونا بالإسلام كما في حديث سؤالات جبريل، أريد بالإسلام ما في الظاهر وهو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده، وأركانه خمسة: ﴿ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، وأريد بالإيمان ما في الباطن وهو معرفة القلب وتصديقه وإقراره وأركانه ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ﴾ [1] .

وإذا ذكر مفردا كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ [2] (الأنفال الآية: ٢ - ٣)، وكما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ الإيمان بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان ﴾ [3] ، أريد به الدين كله، كما أن الإسلام إذا أفرد دخل فيه أصل الإيمان وهو ما في القلب.

ومن هنا قلنا: الإيمان قول وعمل.

والمراد قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

وعمل القلب: وهو النية والإخلاص ونحو ذلك، وعمل الجوارح كالصلاة والزكاة ونحوهما.

---

(١) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٢٧/١).

(٢) سورة الأنفال آية: ٢ ، ٣.

(٣) البخاري الإيمان (٩) ، مسلم الإيمان (٣٥) ، ابن ماجه المقدمة (٥٧).

زيادة الإيمان ونقصانه

الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقد دلت على ذلك الأدلة كما في الآية السابقة وحديث شعب الإيمان.

حكم مرتكب الكبيرة:

الإيمان شعب متفاوتة كما دل الحديث المتقدم، منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيما، منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى، وكما أن شعب الإيمان إيمان، فكذا شعب الكفر كفر.

ولهذا قال أهل السنة: إن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر كما قال تعالى: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ ﴾ [1] (النساء الآية: ٣١).

والكبائر على درجتين: منها ما هو مخرج عن الملة، كما تقدم من الكفر الأكبر والشرك الأكبر، ومنها ما ليس كذلك، مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر ونحو ذلك.

وهذه الدرجة الثانية هي المقصودة عند الإطلاق، ومذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وله في الدنيا من الموالاة بقدر ما معه من الإيمان، أما في الآخرة فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له بسبب منه مثل الأعمال الصالحة أو من غيره من دعاء أو شفاعة، أو بدون سبب بل بفضل الله ورحمته، وإن شاء عذبه بعدله وحكمته، لكنه لا يخلده في النار.

والدليل على ثبوت اسم الإيمان قوله تعالى في آية القصاص: ﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ ﴾ [2] (البقرة الآية: ١٧٨) فجعل القاتل وولي المقتول أخوين في الإيمان،

---

(١) سورة النساء آية: ٣١.

(٢) سورة البقرة آية: ١٧٨.

وقوله ﷺ في شارب الخمر: ﴿ لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم ﴾ [1] رواه البخاري عن أبي هريرة.

والدليل على أن إيمانه ليس كاملا قوله ﷺ ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ [2] أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر، وقوله: ﴿ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربا وهو مؤمن ﴾ [3] رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

وقد ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر على أناس في عهد النبي ﷺ ولم يحكم فيهم بحكم المرتد ولا أمر بقطع الموالاة بينهم وبين جمهور المسلمين، بل أقام عليهم الحدود الشرعية.

والدليل على أنه في الآخرة تحت مشيئة الله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [4] (النساء الآية: ٤٨).

والدليل على أنه إن أدخل النار لا يخلد قوله ﷺ ﴿ ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، وإن زنا وإن سرق ﴾ [5] رواه البخاري ومسلم عن أبي ذر، وقوله ﷺ ﴿ يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: (أخرجوا

---

(١) البخاري الحدود (٦٣٩٩) ، أبو داود الحدود (٤٤٧٧) ، أحمد (٣٠٠/٢).

(٢) البخاري العلم (١٢١) ، مسلم الإيمان (٦٥) ، النسائي تحريم الدم (٤١٣١) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٤٢) ، أحمد (٣٥٨/٤) ، الدارمي المناسك (١٩٢١).

(٣) البخاري الأشربة (٥٢٥٦) ، مسلم الإيمان (٥٧) ، الترمذي الإيمان (٢٦٢٥) ، النسائي الأشربة (٥٦٥٩) ، أبو داود السنة (٤٦٨٩) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٣٦) ، أحمد (٣٨٦/٢) ، الدارمي الأشربة (٢١٠٦).

(٤) سورة النساء آية: ٤٨.

(٥) البخاري الرقاق (٦٠٧٨) ، مسلم الإيمان (٩٤) ، الترمذي الإيمان (٢٦٤٤) ، أحمد (١٥٢/٥).

من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان) ﴾ [1] رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري.

حقوق أهل بيت رسول الله ﷺ وصحابته

لأهل بيت رسول الله ﷺ وصحابته - رضي الله عنهم - حقوق يجب القيام بها، فعلينا أن نحب آل بيت رسول الله ونتولاهم ونذب عنهم امتثالا لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ۗ ﴾ [2] (الشـورى الآية: ٢٣) وقـوله ﷺ: ﴿ أذكركم الله في أهل بيتي ﴾ [3] رواه مسلم عن زيد بن أرقم، وقد أمرنا الرسول ﷺ بالصلاة عليهم مع الصلاة عليه، فقال لنا قولوا: ﴿ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد... ﴾ [4] الحديث.

وأهل بيته أقاربه الذين حرمت عليهم الصدقة، ومن أهل بيته أمهات المؤمنين زوجاته في الدنيا وهن زوجاته في الآخرة.

وكذا نحب صحابة رسول الله ﷺ ونتولاهم ونترضى عنهم ونعتقد عدالتهم ونقبل ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ومراتبهم، ونشهد بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ منهم.

ونؤمن بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي -رضي الله عنهم- وأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

ونمسك عما شجر بينهم فلا نخوض فيه، فهم صفوة هذه الأمة التي هي خير الأمم،

---

(١) البخاري الإيمان (٢٢) ، مسلم الإيمان (١٨٤) ، أحمد (٥٦/٣).

(٢) سورة الشورى آية: ٢٣.

(٣) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٨) ، أحمد (٣٦٧/٤) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣١٦).

(٤) البخاري تفسير القرآن (٤٥١٩) ، مسلم الصلاة (٤٠٦) الترمذي الصلاة (٤٨٣) ، النسائي السهو (١٢٨٨) أبو داود الصلاة (٩٧٦) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فـيها (٩٠٤) ، أحمد (٢٤٤/٤) ، الدارمي الصلاة (١٣٤٢).

قال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [1] (آل عمران الآية ١١٠)، وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [2] (التوبة الآية: ١٠٠)، وقال ﷺ ﴿ خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ﴾ [3] الحديث في الصحيحين عن عدد من الصحابة، وقال ﷺ ﴿ لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ﴾ [4] رواه البخاري ومسلم.

وما ينسب إليهم في بعض الكتب من مساوئ، فأكثره كذب افتراه أعداؤهم، ومنه ما قد زيد فيه ونقص وغيره عن وجهه الصحيح، وما ثبت منه فهم فيه معذورون، لأنه إما أن يكون صدر عن اجتهاد أصابوا فيه أو أخطأوا، أو تابوا منه، إذ هم غير معصومين، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، لكن لهم من الرسوخ في الخيرات والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من أسباب الغفران ما ليس لمن بعدهم، وبكل حال فما يذكر في هذا السبيل فهو قليل مغمور في بحر فضائلهم ومحاسنهم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن ذكرهم بقوله، بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ

(١) سورة آل عمران آية: ١١٠.
(٢) سورة التوبة آية: ١٠٠.
(٣) البخاري الرقاق (٦٠٦٤) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٥) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٢) ، النسائي الأيمان والنذور (٣٨٠٩) ، أبو داود السنة (٤٦٥٧) ، أحمد (٤/٤٢٧).
(٤) البخاري المناقب (٣٤٧٠) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤١) ، الترمذي المناقب (٣٨٦١) ، أبو داود السنة (٤٦٥٨) ، ابن ماجه المقدمة (١٦١) ، أحمد (٣/٥٥).

سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَـٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[1]

(الحشر الآية: ١٠).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

---

(١) سورة الحشر آية: ١٠.

المراجع

١ - **العبودية.**

٢ - **العقيدة الواسطية.**

كلاهما لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

٣ - **مدارج السالكين** للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية.

٤ - **شرح العقيدة الطحاوية** للقاضي أبي الحسن علي بن علي بن محمد بن أبي العز.

٥ - **كتاب التوحيد** للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بشرحه فتح اليد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

٦ - **معارج القبول** للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي.

٧ - **نبذة في العقيدة الإسلامية** لفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين.

٨ - **شرح العقيدة الواسطية** لفضيلة الدكتورصالح بن فوزان الفوزان.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس